

رَبُّنَا اللَّهُ وَاحِدٌ

مُحَمَّدٌ وَالْمَسِيحُ أَخَوَانٌ

تَأليف

محمود أبو رية

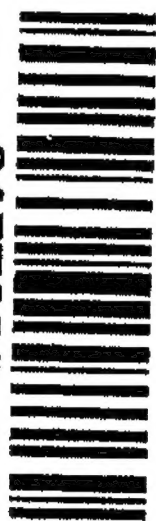
الناشر

دار الكرنتينا

للنشر والطبع والتوزيع

ب. ر. ق. ١٠٠٠٠ - ميدان رمسيس (ب. ر. ق. ١٠٠٠٠) القاهرة

مكتبة الإسكندرية
Bibliotheca Alexandrina



0157326

اهداءات ٢٠٠٩

مكتبة

ا.د عبد الحميد بدوي

القاضي بمحكمة العدل الدولية

رَبُّنَا اللَّهُ وَاحِدٌ

على السنة جميع الرسل

مُحَمَّدٌ وَالْمَسِيحُ أَخَوَانُ

« إن هذه أمتكم ، أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون »
(قرآن كريم)

تأليف

محمود أبو رية

الناشد

دار الفكر

للنشر والطبع والتوزيع
عمارة رمسيس - ميدان رمسيس (باب الحديد) القاهرة

أنا أولى الناس بعيسى في الدنيا والآخرة — والآنبياء إخوة
لِعَلَّات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد .
(حديث بخارى)

الإهداء

إلى الذين يدينون من الناس بدين الحق ، ويريدون أن
تسود روح المحبة بين جميع الخلق ، أهدى هذا الكتاب ؟
محمود أبو ريه

مطبعة دار التأليف ٨ شارع يعقوب بالمالية بمصر تليفون ٣١٨٢٥

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى — وبعد :

فإن بدائه العقول تقضى بأن الله سبحانه وتعالى — وهو رب العالمين ، المتصف بالحكمة والعدل والرحمة — لا يدع مَنْ فطرهم على ما هم عليه من الغرائز والطبائع البشرية هملاً ، ويلقى بهم في خضم هذه الدنيا يمشون في مناكبها مكبين على وجوههم بغير مرشد يدهم على الطريق القويم ، ويهيمون بعقولهم المختلفة بغير هاد يهديهم إلى الصراط المستقيم !

ولكن اقتضت حكمته العالمة أن يبعث إليهم رسلاً من أنفسهم ، يبينون لهم وجه الحق في علاقتهم ببارئهم ، وما يجب أن يكونوا عليه في هذه الحياة حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة .

وقد وصف الأستاذ الإمام محمد عبده هؤلاء الرسل « بأنهم من الأمم — بمنزلة العقول من الأشخاص ، وأن بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية ، قضت رحمة الله المبدع الحكيم بسدادها ، ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه — ولكنها حاجة روحية وكل ما لامس الحس منها فالقصد فيه إلى

الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة ، أو تقويم ملكاتها ،
أو إيداعها ما فيه سعادتها في الحياتين . وبين وظيفتهم بقوله إنهم :
« يجمعون كلمة الخلق على إله واحد ، لا فرقة معه ، ويخضعون
السبيل بينهم وبينه وحده (١) ، — ويدكرونهم بعظمته ، بفرض
ضروب من العبادات — تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن
يخشى ، تقوى ما ضعف منهم ، وتزيد المستيقنين يقيناً ويبينون للناس
ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم .
« يعودون بالناس إلى الألفة ، ويكشفون لهم سر المحبة ،
ويلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة — ويعلمونهم أن يرعى
كل حق الآخر ، وأن لا يغفل حقه ، وأن لا يتجاوز في الطلب
حده ، وأن يعين قويمهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدي
راشدهم ضالهم ، ويعلم عالمهم جاهلهم
« يضعون لهم — بأمر الله — حدوداً عامة ، يسهل عليهم أن
يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق ، وحظر تناول
شئ مما كسبه الغير إلا بحق ، مع بيان الحق الذي يبيح تناوله ، واحترام
الأعراض ، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأ بضاع (٢) ، ويشرعون
لهم مع ذلك أن يقوموا بأنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والأمانة ،

(١) أى يدعوته ويتقربون إليه بما شرع لهم من الدين لا بوسائل
من الخلق تقربهم إليه كحجاب المالك ووزرائهم .
(٢) أى الاتصال الجنسي من زواج وغيره .

والوفاء بالعقود، والمحافظة على العهود (١) والرحمة بالضعفاء، والإقدام على نصيحة الأقوياء، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء .
« يحماونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية ، إلى طلب الرغائب السامية، آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير حسبما أمر الله جل شأنه » .

« يفضلون في جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، وما يعرضهم لخطئه عليهم ثم يحيطون ببيانهم بنبأ الدار الآخرة ، وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبي لمن وقف عند حدوده ، وأخذ بأوامره ، وتجنب الوقوع في محظوراته » .

« بهذا تطمئن النفوس وتلجج الصدور ، ويعتصم المرزوء بالصبر ، ينتظاراً لجزيل الأجر ، أو ارضاء — لمن بيده الأمر — وبهذا ينحل أعظم مشكل (٢) في الاجتماع الانساني — لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حالة إلى اليوم : »

« وأما تفصيل طرق المعيشة ، والحدائق في وجوه الكسب ، وتطاول شهوات العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم ... فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة

(١) ومنها المعاهدات الدولية

(٢) يعني مشكل العمال وما نشأ عنه من الشيوعية والفوضوية

وغير ذلك .

والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقرير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريباً في الاعتقاد — بأن للكون إلهاً واحداً قادراً عالماً حكماً متصفاً بما أوجب الدليل أن يتصف به ، وباستواء نسبة الكائنات إليه في أنها مخلوقة له ، وصنع قدرته ، وإنما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال ، وشرطه أن لا ينال شيء من تلك الأعمال السابقة أحداً من الناس بشر في نفسه أو عرضه ، أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ما حدد في شريعتها».

«وليس من وظائف الرسل ما هو عمل المدرسين ومعلمي الصناعات، فليس مما جاءوا به له تعليم التاريخ، ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب، ولا ما استكن من طبقات الأرض، ولا ما تحتاج إليه النباتات في نموها وغير ذلك مما وضعت له تلك العلوم، فإن ذلك كله من وسائل الكسب، وتحصيل طرق الراحة — هدى الله إليه البشر بما أودع فيهم من الإدراك، يزيد من سعادة المحصلين، ويقضى فيه بالنسك على المقصرين» (١).

❦ ❦ ❦

أجملنا لك حقيقة وظيفه رسل الله ، وما أوتوا به من هداية وإرشاد على أكمل وجه — ومن مثل الأستاذ الإمام محمد عبده — يستطيع أن يبين ذلك كله على هذه الصورة الرائعة .

(١) عن رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده من ص ١١٨

— ٩ —

وإنك ترى : أن سعادة الناس إنما تكون في اتباع هؤلاء الرسل ، وأنه لا غنى للحياة الصحيحة الطاهرة عن هدايتهم ، وإذا كان الله قد سخر الشمس لتستضيء به النواظر ، فإنه قد بعث الرسل لتمتدى بها البصائر .

وهذا الذى يأتى به الرسل إلى الناس هو المعروف (بالدين) ولما كان تطاول الزمن ، وامتداد العصور ، قد يهتدى من أصول هذا الدين أو يدخل عليها ما ليس منها — فإن الله سبحانه يرسل رسوله تترى — ليحدثوا ما يكون قد تغير منه ، ويبينوا للناس من شرعه ما فيه صلاحهم فى كل عصر . وبعد انقضاء عهد الرسالات النبوية يبعث الله من عباده العلماء ليحدثوا الدين ويجعلوه من وسائل عمارة الأرض ونفع الناس .

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن الله سبحانه رب الجميع ألا كوان ، وإله الناس فى كل زمان — فإن العقل السليم ، والمنطق الصحيح يقضيان — ولا ريب بأن (دين الله) يجب أن يكون واحدا وأن أصوله ، لا تختلف باختلاف العصور ، وتعاقب الدهور ، وإنما الذى يختلف باختلاف الزمان إنما هى الشرائع التى تتغير بحسب تطور العمران ، ونظام الاجتماع بين بنى الإنسان ، فما يكون لله من حقوق وواجبات — وهو المعبر عنه (بالعقائد والعبادات) فإنه لا يتغير إلا فى بعض أشكال العبادة وصورها ، وهذا بديهي — مادام

— ١٠ —

المعبود واحداً — وشكل العبادة في ظاهرها وصورها لا يغير من لبها وروحها ، ولا أن مصدرها — هو القلب .

أما أحكام الحياة ونظمها — وهو المعبر عنه (بالمعاملات) فإنه يتغير بتغير الزمان وأحوال الناس ، وطبائعهم وطرائق معاشهم ، كما تتغير القوانين الوضعية بين الفينة والفينة — ذلك بأن ما يصلح لزمن نظم المعاملات لا يصلح لآخر — سنة الله في الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وهذا الأمر قد تركه الله للناس كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده « وفي ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم «أنتم أعلم بأمر دنياكم» (١) هذا هو المعقول، الذي اتفق عليه علماء المعقول والمنقول، إذ لا يصح أن يغير الله دينه بين فترة وأخرى — فيجعله لرسول على صفة ، وينزله على غيره بشكل آخر يخالف الأول ، فإن ذلك من عمل الإنسان الذي من طبعه التغير والتبديل دائماً .

لو علم الناس هذه البداهة على وجهها ، وتوافقوا على فهمها لتعارفوا : إن دين الله يجب أن يكون واحداً في كل زمان ولا يقنوا : أن رب نوح ، هو رب إبراهيم ، وموسى ، وعيسى

(١) وذلك في حديث تأبير النخل بالمدينة لما أشار عليهم بعدم تأبيره فخرج البلاح شبيصاً ، ولما علم بذلك قال هذا الحديث العظيم، الذي يجب أن يكتب في كل مكان ، رواه مسلم .

ومحمد وغيرهم من الرسل — من علمنا منهم ومن لم نعلم — وان
عباده جميعاً أمام الله سواءسية « كل امرئ بما كسب رهين (١) فمن

يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٢)

لو عرف الناس ذلك كله — وأيقنوا معه أن الله قد خلق لهم
ما في الأرض جميعاً ، وسخر لهم ما في السموات والأرض ، وأنه لم
يختص بشيء مما خلق أو سخر أهل دين من الأديان ، وإنما جعل
الانتفاع بذلك كله لأعمل المبنى على العلم والتجربة — فلم يجعل الماء
لموسى ، ولا الأرض لعيسى ، ولا الهواء لمحمد ، وإنما خلق ما في
الأرض للناس كافة وجعل وراثته الأرض للصالحين منهم لها —
وليس الصالحون هم الذين يطيلون لحاهم ويلونون عمائمهم ، و يديرون
السبع بين أصابعهم كما يفهم الجاهل وإنما هم الصالحون لعمارتها
والانتفاع بذخائرها الظاهرة منها والباطنة .

لو عرف الناس ذلك كله وأدركوه بعقول صحيحة وقلوب
سليمة لأصبحوا جميعاً في هذه الحياة القصيرة إخواناً متحابين ،
يضربون في هذه الأرض متعاونين كل بسعيه ، طاهرة نفوسهم ،
متحدة قلوبهم ، كما أمرت بذلك أديانهم ، باذلين جهودهم فيما يعود
بالخير والنفع عليهم .

(١) الآية ٢١ من سورة الطور .

(٢) الآيات ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .

وأما عباداتهم - وإن اختلفت - كما قلنا - في بعض صورها فإن روحها منبعثة من القلوب ، وإن تباينت أشكالها فإنها متحدة في لبابها وغايتها التي تنتهي إلى مالك الملك علام الغيوب .

فلعل واحد أن يؤديها على الصورة التي بينها دينه . إن في معبده أو في بيته أو في خلوته ، أو في أى بقعة من الأرض فأينما يولوا وجوههم فثم وجه الله . وبعد أن يؤدوا عباداتهم يعودون جميعاً إلى العمل كل فيما يحسنه ، وبذلك تكون الحياة سعيدة الأمن شاملاً . لو سرنا على هذه السبيل المستقيمة كنا كأجرة واحدة يأتينا رزقها رغداً لا يكدر صفو عيشها شيء . ولكن وأسفاً فإن أهل الأديان السماوية قد اختلفوا فيما يجب الاتفاق عليه وتنازعوا فيما يدعو الاتحاد إليه ، وبذلك أصبحت الحياة فيما بينهم عداً وتخالفاً ، وهذا لا ريب له أثر بعيد في حياتهم واجتماعهم فهذا يقول : ديني أفضل من دينك ! وذاك يقول : إن الخير كل الخير فيما أنا عليه ، وإن الضلال كل الضلال فيما عليه غيرى ممن يخالفنى في الدين .

ولو علموا جميعاً حقيقة أمرهم وعرفوا قدر أنفسهم لتواضعوا أمام عظمة ربهم ولا يقنوا أن الأمر ليس بأمانى أحد منهم ، وأن من يعمل سوءاً يجزيه ، وأن الموازين العادلة ليست بيد أحد من أهل الأرض وإنما هي بيد الحكيم الخبير علام الغيوب الذى لا يظلم مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وأنه رب العالمين جميعاً ، من مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وصابئين والذين أشركوا وغيرهم من جميع

الملل والنحل — وهو وحده الذى يفصل بينهم جميعا بعدله يوم القيامة
كما جاء فى القرآن الكريم :

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين أشركوا — إن الله يفصل بينهم يوم القيامة. إن الله على كل
شئ شهيد « (الآية ١٧ من سورة الحج)

وقال فى الآية الأربعين من سورة الدخان « إن يوم الفصل
ميقاتهم أجمعين » فيعذب الله فيه من يشاء ، ويرحم من يشاء ،
لا معقب لحكمه .

وإن أنسى لا أنسى ليلة كنت فيها بمجلس ضم بعض رجال الدين
فدخل علينا أحد المحامين الشرعيين وقال فى أسى : لقد مات اليوم
فلان — رحمة الله — وما أن نطق بأسم الميت وكان محاميا قبطيا
حتى قامت صيحات من بعض من كان معنا تستنكر على أخيه أن
يطلب الرحمة من الله لهذا (القبطى) ؟ فهت المحامى ولم يستطع أن
يجيب بشئ (١)

(١) عن الحسن ، قيل لرسول الله : إن فلانا يستغفر لأبائه المشركين ،
فقال : ونحن نستغفر لهم . وعن على : رأيت رجلا يستغفر لأبويه ، وهما
مشركان ، فقلت له فقال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه . وقال الزمخشري
فى الكشف إن العقل يجوز أن يخفى الله للكافر ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام
لعمه : لا تستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك ص ١٧٤ ج ٢ .
وسلم الشعبي الإمام الجليل على نصرانى فقال : السلام عليكم ورحمة =

ففعجبت لذلك وقلت لهم : ماذا فيما قاله الأستاذ المحامي ؟ فأجابوا ،
 كيف يطلب الرحمة للنصراني وهو كافر والرحمة لا تنال الكافرين !
 فقلت لهم : إذا كان حكمكم على الكافر صحيحاً فإن النصراني ليس
 بكافر ! ولما أصرروا على رأيهم قلت لهم : إذا كان النصراني كافراً
 فكيف يباح للمسلم أن يتزوج بالنصرانية ، والآية الكريمة تقول :
 « ولا تمسكوا بعصم الكوافر (١) » فأجاب بعضهم ، إن هذا
 لا يجوز ! فقلت له : لقد جهلت أحكام دينك ! إن للمسلم أن
 يتزوج النصرانية ، وعليه أن يرافقها في أيام الآحاد ، والأعياد
 إلى كنيساتها ، لتسمع المواعظ من قسيسها ! ولما سلموا جميعاً بذلك
 نهض بعضهم فقال : إن النصراني مشركون ! فقلت له : إن الأمر
 في هذه كالأمر في تلك ! لأن الآية تقول : « ولا تتكفروا للمشركات
 حتى يؤمن » (٢) وبلغ بعضهم وأصر على أن النصراني لا تشمله
 رحمة الله ! فقلت له : يا هذا ألم يكن النصراني من بني آدم ؟ وألم يكن
 من الناس ؟ فقالوا جميعاً : نعم ، فقلت : إذن اقرأوا هاتين الآيتين
 الكریمتين .

« يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ، فمن انقضى
 وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
 (٣٥ الأعراف)

الله ، فقبل له في ذلك ، فقال : أو ليس في رحمة الله ؟ لولا ذلك لهلك ص ٧٧
 ج ١ تذكرة الحفاظ .

(١) الآية ١ من سورة الممتحنة . (٢) الآية ٢٢١ من سورة البقرة .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .
(١٣ الحجرات)

فكل من يتقى الله ويصلح فلا خوف عليه ، والأساس الأول هو التقوى ، وهنا انتفض بعضهم وقال : إن التقوى خاصة بالمسلمين والمتقون هم المسلمون ! فقلت له يا مولانا الشيخ إن تقوى الله مطلوبة في كل مخلوق ، وأهل الكتاب قد أمروا قبلنا بتقوى الله ووصاهم الله بها كما وصانا فقال تعالى : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ، أن اتقوا الله (١٣١ من سورة النساء) . وهنا قال أحدهم : كأنك تجعل النصارى من أهل الكتاب ؟ فأجيبته لست أنا الذى أجعلهم من أهل الكتاب ، وإنما الذى جعلهم كذلك هو الله سبحانه ، وقد أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم على أنهم أهل كتاب وذلك في قوله سبحانه :

« قل يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً — ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »
(٦٤ آل عمران)

فقال : وهل تنال رحمة الله أهل الكتاب كما تنال المسلمون فقلت له : إن باب رحمة الله مفتوح على مصراعيه لكل عباده ،

اقرأ إن شئت هذه الآية الكريمة :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١) ، فكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحا فهو ناج بفضل الله إن شاء الله ، ذلك بأن هذه الصفات الثلاث ، هي أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول فمن اتبع احكامها ، وأقام اصولها — من أى دين كان — فاز برضوان الله . ومن أخل بشيء منها واتبع هواه ، فأمره إذن إلى الله ، إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهو سبحانه غفور رحيم — لا يسأل عما يفعل ! وكذلك لا أنسى جدالا قام بين شيخ مسلم وبين أحد إخواننا الأقباط قال فيه هذا الشيخ — عندما أحترم الجدل : حقا لقد صدق الله العظيم حيث يقول » ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم « فكنت أتميز من الغيظ لجهل الشيخ بما في كتابه فقلت له : ياسيدنا الشيخ كيف تفتري على الله ، وتستشهد بآية لا تفهم معناها ؟ إن الله سبحانه لم يقل ذلك . فركبته الحماقة وقال : كيف ترمينى بالافتراء على الله والآية ثابتة في المصحف . فقلت له : اقرأ ما قبلها وما بعدها يتجلى لك معناها — ولما قرأ ما قبلها وما بعدها

(١) الآية ٢٦٢ من سورة البقرة .

وعلم أن الذين قالوا ذلك هم اليهود بُـهت (١)

ولما أدركه الحصر قلت له : حرام عليكم يامونا لا أن تفتروا على الله، وأن تأخذوا ما في المصحف الشريف وتفهموه على ما يقضى به عليكم ، وتوقدوا بذلك نار الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وبخاصة النصارى — والذين أشار إليهم القرآن بأنهم : أقرب الناس مودة للمسلمين، وذلك في الآية الكريمة :

لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا : الذين قالوا : إنا نصارى ذلك بأن منهم ، قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون (٢) .

(٨٢ المائدة) .

(١) هذه هي الآيات الكريمة «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل : إن الهدى هدى الله أن يوتي أحد مثل ما أوتيتم ، أو يحاجوكم عند ربكم ، قل : إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ومن أهل الكتاب من إن آمنه بقوله لا يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعاديون (٧٢ — ٧٥ آل عمران)

(٢) لم تقل الآية : ولهم غير مؤمنين بمحمد أو إنهم مسلمون معك !

م٢ — دين الله واحد

وجاءت الوصية الكريمة من محمد صلوات الله عليه صريحة
بالوصية بالقبط فقال : «استوصوا بالقبط ، فإن لهم ذمة ورحما» .
رواه مسلم

وإن الذى يملأ النفس أسى أن هذه الآية الكريمة (١) ما تزال
تجرى بهذا الفهم الخاطيء على السنة كثير من مشايخ المسلمين
وعامتهم. وهذا ولا ريب له أثر بالغ فى تمزيق الروابط بين المسلمين
وإخوانهم الأقباط ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم باسم الدين ، على
حين أن الاتحاد واجب بين أبناء الأمة جميعا لارتباط مصالح
بعضهم بمصالح بعض ، فإذا لم يكن الاتحاد مما يدعو إليه الدين ،
فإن الاجتماع يمتعه بينهم بل ويفرضه عليهم وبخاصة فى هذا العصر (٢) .

(١) أى الآية : ولا تأمنوا إلا لمن تبع دينكم .

(٢) بما تذكره على سبيل الفكاهة : أنى كنت فى مجلس ضم بعض
المشايخ وجرى الحديث فبمن سيدخلون الجنة ومن سيحرمونها ؟ فقلت
لهم « ما قولكم فى أديسون مخترع النور ؟ » فقالوا : إنه سيدخل النار !
فقلت لهم : بعد أن أضاء العالم حتى مساجدكم وبيوتكم باختراعه ؟
فقالوا : ولو ، لأنه لم ينطق بالشهادتين ، فقلت لهم : إذا كان مثل هذا الرجل
العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلمهم
ومخترعاتهم ، لا يمكن — بحسب فهمكم — أن يدخلوا الجنة شرعا
— لأنهم لا ينطقون بالشهادتين — أفلا يمكن أن يدخلوها بفضل الله
ورحمته عقلا ماداموا يؤمنون بخالق السموات والأرض ؟ قالوا :
ولا هذه !! .

وإن هذه الحال السيئة التي أعرفت فينا على مدى الأجيال، ونال العالم منها ما ناله من الضرر والوبال لتدعو العقلاء والمفكرين وأهل الرأي، إلى أن يتداركوها، وأن يطبوا لها ما استطاعوا . وإن أنجع دواء لهذه العلة المزمنة - ولا ريب - هو أن يعرف أهل الكتب السماوية جميعاً، أن دين الله واحد على السنة جميع رسله وأن هؤلاء الرسل الكرام، إخوة متحابون لأعداء بينهم ولا خصام، وأن الغرض من رسالتهم واحد، وأن الذي بعثهم جميعاً بأصول هذا الدين واحد، وأن هذه الأصول لا تخالف فيها ولا تباین، فإذا عرفوا ذلك تقطعت بينهم أسباب الخلاف، وارتبطت القلوب بأواصر المحبة والاتلاف . ولأنى قضيت حياتي كلها في الدعوة إلى اتحاد رجال الأديان كما اتحدت أصول الأديان، وأن يبنوا ما نشأ من خلاف بينهم يكرهه الله مالاك الملك، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا ينفرقوا وأن يعقدوا الحناصر على القيام بنشر ما يدعو إليه الدين الحق من كرائم الآداب، وأمهات الفضائل ويكونوا قدوة حسنة لمن وراءهم من المتدينين وبذلك يسعد الناس جميعاً، ويعيشون في مهناً وصفاء لا حقد بينهم ولا بغضاء .

وقد استخرت الله في أن أنشر هذه الرسالة الموجزة لأبين لإخوتي المخلصين من أهل الأديان أجمعين، أن دين الله على السنة رسله - كما قرأناه في كتبهم - واحد، وصادر من إله واحد، أراد به سبحانه وتعالى هداية خلقه على اختلاف أجناسهم وألوانهم، في كل

زمان ومكان ، معتمداً في ذلك على أقوى الأدلة التي يرضى عنها العلماء المخلصون ، من صحيح النقل وصريح العقل .

وقد سلكت في وضعها الطريق الواضح ، والمحجة البيضاء مبتعداً ما استطعت ، عن مثارات الخلاف التي لا يهب منها إلا ريح الجدل العقيم الذي لا نفع منه ولا جداء ، وإنما يزيد في مدى الفرقة والشقاء . وما الذي يعود بالخير علينا إذا ظلت بعض القلوب على ما فيها من بغضاء ولبثت بعض الصدور تحمل ما تحمل من شحنة ، إن في ذلك ولا ريب لبلاء أي بلاء !

وإننا الآن في حياتنا الجديدة لنفي أشد الحاجة إلى هداة مخلصين من كل ملة ودين ينشرون الألفة ، ويدعون إلى المحبة بين الناس أجمعين .

ومن رأي أن كل من يعمل على إثارة الخلاف في البلاد ، وبث روح التفرقة الخبيثة بين الناس ، لا يكون مخلصاً في إيمانه الديني ، ولا صادقاً في ولائه الوطني .

هذا وكل ما أرجوه أن تنال هذه الرسالة من كل من يقرأها من رجال الدين وغيرهم الرضا والقبول ، وأن يجعل الله لها من الأثر ما أتمناه في النفوس والقلوب والعقول ، حتى يسود بين الناس السلام ، ويعم الوفاق والوئام .

هذه سبيلي التي أدعو إلى الله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمود أبو رية

— ١ —

دين الله واحد

دين الله واحد في الأولين والآخرين ، لا يختلف إلا في صورته ومظاهره ، وأما روحه وحقيقته — وهو ما طوّل به العالمون أجمعون على ألسن جميع الأنبياء والمرسلين — فلا يتغير ، وهو إيمان بالله الواحد الأحد ، وإخلاص له في العبادة — وأن يتعاون الناس في معاشهم على البر والتقوى ، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان . هذا هو دين الله الذي أرسل به الرسل في كل أمة ، ولكل قوم على مدى الدهور والأزمان . - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير . وقد علم من بيان الأديان الثلاثة — اليهودية والمسيحية والإسلام — ، أن أول رسول أرسل إلى الناس بعد آدم هو : نوح عليه السلام ، ولذلك جاءت الآية القرآنية « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى — أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (١٣ الشورى) . وفي حديث نبوي : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة . والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد — وفي روايته (أولاد علات) وفي حديث آخر « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد » .

وقد فسروا العلات بالضرائر وأصله : أن من تزوج امرأة

— ٢٢ —

ثم تزوج عليها أخرى كما أنه عل منها — و العلل الشرب بعد الشرب —
وبنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتى .

وقال ابن القيم : (١)

وفيه وجه آخر أحسن ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم
حين شبه دين الأنبياء الذي اتفقوا عليه — من التوحيد ، وهو
عبادة الله وحده ، لا شريك له ، والإيمان به وبملائكته وكتبه
ورسله ولقائه — بالآب الواحد ، لا شراك جميعهم فيه وهو الدين
الذي شرعه لأنبيائه كلهم ، فقال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا — الآية .

وقال البخارى فى تفسير ما جاء من (أن دين الأنبياء واحد) :
إن دين الله الإسلام الذى أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله ، من
أولهم نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة
الآب الواحد .

وأما شرائع الأعمال والمأمورات ، فقد تختلف ، فهمى بمنزلة
الأمهات الشتى — وكون الأم بمنزلة الشريعة — والآب بمنزلة
الدين — وأصالة هذا وتذكيره ، وفرعية الأم وتأنيثها — واتحاد
الآب ، وتعدد الأم ما يدل على أنه معنى الحديث «

(١) ص ٢٠١ و ٢٠٢ ج ٣ بدافع الفوائد .

وقال ابن كثير في تفسيره : شرع لكم من الدين - الآية : (١)
 « الدين الذي جاءت به كل الرسل ، هو عبادة الله وحده ،
 لا شريك له - كما قال تعالى : « وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
 إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ ، ، أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » أى القدر المشترك
 بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ،
 ومناهجهم ، قال تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولهذا
 قال تعالى هنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى أوصى الله
 تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بالائتلاف والاتفاق ،
 ونهاهم عن الافتراق والاختلاف .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد :
 صرح الإسلام تصريحاً لا يحتمل الريبة بأن دين الله فى جميع
 الأزمان وعلى ألسن جميع الأنبياء واحد (٢) ، قال الله تعالى :
 « إنا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كما أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ،
 وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا »
 (١٦٣ النساء)
 « ومعنى « أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كما أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ إلخ » أى مثاله فى
 جلسه وموضوعه ، والغرض منه أنهم يصدرُونَ عن نبع واحد.

(١) ص ١٠٩ ج ٤

(٢) ص ١٦٣

— ٢٤ —

ونخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بني إسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب .

— ٢ —

إن هذه أمتكم أمة واحدة

جاءت هذه الآية الكريمة : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ الأنبياء)

وتكررت هذه الآية في سورة المؤمنون (٥٢) « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (١) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جببر وغيرهم في قوله (إن هذه أمتكم أمة واحدة) يقول : دينكم دين واحد . وقال ابن كثير : إن دينكم يامعشر الأنبياء واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له . ولهذا قال « وأنا ربكم فاتقون » (٢)

— ٣ —

أساس دعوة كل رسول

كانت دعوة رسل الله جميعاً مبنية على أصل واحد : أن يبينوا للناس أنه : لا إله إلا هو ، ليؤدوا له ما يجب من العبادة الخالصة التي يستحقها سبحانه ، قال تعالى :

(١) ص ١٩٤ ج ٣ تفسير ابن كثير

(٢) ص ٢٤٧ من نفس المصدر

— ٢٥ —

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه : أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »
(٢٥ الأنبياء)

وقال : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (١) »
٣٦ سورة النحل

وقال تعالى عن أول الرسل نوح :
ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ؟
٢٣ المؤمنون

وقال عن هود :
« وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ؟ »
٦٥ الأعراف

وقال عن صالح :
« وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »
٧٣ الأعراف

وقال عن إبراهيم :
« وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »
١٦ العنكبوت

(١) الطاغوت كما بينه الأستاذ الامام محمد عبده هو كل ما تكون عبادته والايمان به سلباً للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقد ، وهوى يتبع .

— ٢٦ —

رسالة موسى وعيسى عليهما السلام
أما رسالة موسى وعيسى عليهما السلام فسنبينهما فيما بعد، ونقف
عليهما ببيان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

— ٤ —

أصول الدين على السنة رسل الله أجمعين

بعد أن بينا أن دين الله واحد ، وأن أساس دعوة رسل الله
مبنية على أصل واحد ، يجب علينا أن نبين أصول هذا الدين الثابتة
التي لا تتغير بتغير الأزمان ، وإنما الذي يتغير : الشرائع والمناهج
فلكل رسول شرعة ومنهاج ، وهذه الأصول هي : -
الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح .
ففي سورة البقرة الآية (٦٢) وهي : -

«إن الذين آمنوا، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين، من آمن
بالله، واليوم الآخر، وعمل صالحا، فلهم أجرهم عند ربهم،
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير هذه الآية : (١)
«إن الرسل عليهم السلام كانوا متفقين في الدعوة إلى : الإيمان
بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وإنما كانوا يختلفون في
تفصيل الأعمال الصالحة ، والشرائع المصلحة ، بحسب اختلاف

(١) ص ٢١٦ ج ١ .

استعداد أئمتهم ، وقد طرأت على أتباعهم من بعدهم بدع وثنية وخرافية ، وضاعت أكثر تعاليمهم من الأمم القديمة ، وإنما بقيت بقية صالحة عند المتأخرين من اليهود والنصارى فيها من الشوائب ما أشرنا إليه آنفاً — وكذلك بقيت من جميع الأديان القديمة آثار تاريخية تدل على توحيد الله تعالى كما نراه في تاريخ قدماء المصريين والفرس واليونان ، ووثني الهند واليابان والصين .»

ثم قال رضى الله عنه :

«أحاط القضاء في الآية السابقة (١) باليهود فلم يدع منهم حاضر أو لا غائباً فالزم الذل باطنهم وكسا بالمسكنة ظاهرهم ، وبوأهم منازل غضبه ، وجعل أرواحهم مسقط نقمة ، فذلك الله الذى يقول (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) سجلت الآية عليهم هذا العذاب الشديد بما كسبت أيديهم ، واستشعرت قلوبهم من كفر بآيات الله وانصراف عن العبرة ، واستعصاء على الموعدة ، وخروج عن حدود الشريعة ، واعتداء على أحكامها . اقترف ذلك سلفهم وتبعهم عليه خالفهم فحقت عليهم كلمة ربك . فلو قر الخطاب عندها ولم ينلها من رحمته ما بعدها ، لحق على كل يهودى على وجه الأرض

(١) الآية السابقة : وضربت عليهم (أى على اليهود) الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون — ٦١ البقرة و ص ٣٣٣ وما بعدها من الجزء الأول من تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده .

أن ييأس ، وأن لا يبقى عنده للأمل في عفو الله متنفس ، بل كان ذلك القنوط لازماً لكل عاص ، قابضاً على نفس كل معتد ، لا فرق بين اليهود وغيرهم .

فإن سبب ما نزل باليهود إنما هو عصيانهم ، واعتداؤهم حدود ما شرع الله لهم ، وسنن الله في خلقه لا تتغير وأحكامه العادلة فيهم لا تتبدل ، لهذا جاء قوله تعالى (إن الذين آمنوا إناخ بمنزلة الاستثناء من حكم الآية السابقة .

وإنما ورد على هذا الأسلوب البديع متضمناً لجميع من تمسك بهدى نبي سابق وانتسب إلى شريعة سماوية ماضية ، ليدل على أن الجزء السابق ، وأن حكى على أنه من خطأ اليهود خاصة لم يصبرهم إلا للجريمة قد تشمل الشعوب عامة ، وهي الفسوق عن أوامر الله ، وانتهاك حرمانه فكل من أجرم كما أجرموا سقط عليه من غضب الله ما سقط عليهم ، وعلى أن الله جل شأنه لم يأخذهم بما أخذهم لأمر يختص بهم — على أنهم من شعب إسرائيل — أو من ملة يهود بل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

وأما أنساب الشعوب ، وما تدين به من دين ، وما تتخذه من ملة ، فكل ذلك لا أثر له في رضا الله ولا غضبه ، ولا يتعلق به رفعة شأن قوم ولا ضعتهم ؛ بل عماد الفلاح ، ووسيلة الفوز بخيرى الدنيا والآخرة ، إنما هو صدق الإيمان بالله تعالى : بأن يكون

التصديق به سطوعاً على النفس من مشرق البرهان ، أوجيشانا في
اللقاب من عين الوجدان ، فيكون الاعتقاد بوجوده وصفاته خالياً
 من شوب التشبيه ، والتمثيل ، واليقين في نسبة الأفعال إليه خالصاً من
 وساوس الوهم والتخيل ، ويكون المؤمن قد ارتقى بإيمانه مرتقى
 يشعر فيه بالجلال الإلهي ، فإذا رفع بصره إلى الجنب الأرفع أغضى
 هيئته وأطرق إلى أرض العبودية خشوعاً وإذا أطلق نظره فيما بين
 يديه بما سلطه الله عليه شعر في نفسه عزة بالله ووجد فيها قوة
 تصرفه بالحق فيما يقع تحت قواه لا يعدو حداً ضرب له ؛ ولا
 يقف دون غاية قدر له أن يصل إليها ، فيكون عبداً لله وحده ، سيداً
 لكل شيء بعده .

وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا) مراد بذلك المسلمون الذين
 اتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم والذين سبّغوه ، وكانوا يسمون
 المؤمنين والذين آمنوا ...

وقوله (والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، يراد به هذه الفرق
 من الناس التي عرفت بهذه الأسماء أو الألقاب ، من الذين اتبعوا الأنبياء
 السابقين ، وأطلق على بعضهم لفظ (يهود والذين هادوا) وعلى
 على بعضهم لفظ النصارى وعلى بعضهم لفظ (الصابئين) .

(من آمن بالله ، واليوم الآخر وعمل صالحاً) - هذا بدل
 مما قبله - أي من آمن منهم بالله إيماناً صحيحاً ، وآمن باليوم الآخر
 كذلك ، وعمل عملاً صالحاً تصالح به نفسه وشؤون له ، ومع من يعيش .

معهم . وما العمل الصالح بمجهول في عرف هؤلاء الأقوام ، وقد بينته
 كتبهم أتم بيان (فليهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون) أى أن حكم الله العادل سواء وهو يعاملهم نسبة واحدة
 لا يحابى فيها فريقا ، ولا يظلم فريقا ، وحكم هذه السنة : أن لهم
 أجرهم المعلوم بوعده الله لهم على لسان رسوله ، ولا خوف
 عليهم من عذاب الله يوم يخاف الكفار والفجار مما يستقبلهم ،
 ولا هم يحزنون على شيء فاتهم وقد تقدم هذا التعبير في الآية (٣٨)
 من هذه السورة (البقرة) (١) .

فالآية بيان لسنة الله تعالى في معاملته الأمم ، تقدمت أو
 تأخرت . فهو على حد قوله تعالى « ليس بآمانيتكم ، ولا أمانى أهل
 الكتاب : من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجدر له من دون الله وليا
 ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ،
 فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (٢) .

الآية (٣٨) نصها « قلنا هبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم منى هدى ،
 فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فإما يأتينكم منى هدى
 — من رسول مرشد ، وكتاب مبين (فمن تبع هداى) الذى أشرعه ،
 وسلك صراطى المستقيم الذى أحده (فلا خوف عليهم) من وسوسة
 الشيطان ، ولا مما يعقبها من الشقاء والحسرات (ولا هم يحزنون) على
 فوت مطلوب ، أو فقد محبوب .

(٢) النقيير ، النكسة في ظاهر النواة .

فظهر بذلك أنه لا إشكال في حمل من آمن بالله واليوم الآخر
 إلخ على قوله (إن الذين آمنوا) إلخ . . . ولا إشكال في عدم
 اشتراط الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن الكلام في معاملة
 الله تعالى لكل الفرق ، أو الأمم المؤمنة بنبي ووحى بخصوص
 الظانة أن فوزها في الآخرة كائن لا محالة ، مسلمة ، أو يهودية أو
 نصرانية ، أو صابئية مثلاً . فإله يقول : إن الفوز لا يكون
بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس
وعمل يصلح به حال الناس ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب
آمانى المسلمين ، أو آمانى أهل الكتاب . وأثبت كونه بالعمل
الصالح مع الإيمان الصحيح .

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن السدى قال : التقى
 ناس من المسلمين واليهود والنصارى ، فقال اليهود للمسلمين : نحن
 خير منكم . . . ديننا قبل دينكم ! وكتابنا قبل كتابكم . . . ونبينا قبل
 نبيكم ونحن على دين إبراهيم وإن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو
 نصارى . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد
 كتابكم ونبينا بعد نبيكم ، وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا
 وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم . . . نحن على دين إبراهيم وإسماعيل
 وإسحاق وإن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا فانزل الله تعالى :
 « ليس بآمانيتكم ولا آمانى أهل الكتاب — الآية ، وروى نحوه عن
 مسروق وقتادة .

— ٢٢ —

وأخرج البخارى فى التاريخ من حديث أنس مرفوعا « ليس
الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب و صدقه العمل ، إن قوما
آلهتهم آماني المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ،
وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى ! وكذبوا » لو أحسنوا
الظن لأحسنوا العمل .

والحكمة فى عناية الله تعالى بالنهى على المفترين بالانتساب إلى
الدين أيّا كان — ظاهرة — (١) فإن هذا الغرور هو الذى صرفهم
عن العمل به ، أكتفاء بالانتساب إليه وجعله جنسية فقط !! (٢)

— ٥ —

إن الدين عند الله الإسلام

(أى إسلام الوجه)

قال تعالى فى القرآن الكريم (آية ١٩ و ٢٠ من سورة آل عمران)
إن الدين عند الله الإسلام « وقال : فإن حاجوك فقل أسلمت
وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين :
أسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا ، فإنما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد .

(الدين) فى اللغة الجزاء والطاعة والخضوع — أى سبب .

(١) أى الحكمة .

(٢) ص ٢١٦ ، ٣٣٣ — ٣٣٧ من تفسير القرآن الحكيم ج ١ .

— ٣٣ —

الجزاء ، ويطلق على مجموع التكاليف التي يدين بها العباد لله ، فيكون بمعنى : الملة والشرع ، (والإسلام) مصدر أسلم وهو يأتي بمعنى (خضع واستسلم) وبمعنى أدى . يقال ، أسلمت الشيء إلى فلان — إذا أديته إليه ، وبمعنى دخل في السلم بمعنى الصلح والسلامة ، وبالتحريك الخالص من الشيء ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سليماً لرجل) .

وتسمية دين الحق إسلاماً — يناسب كل معنى من معاني

الكلمة في اللغة .

قال تعالى : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن »

وقد علم بذلك أن الحصر في قوله (إن الدين عند الله الإسلام)

يتناول جميع الملل التي جاء بها الأنبياء ، لأنه روحها الكلي الذي

اتفقت فيه على اختلاف بعض التكاليف وصور الأعمال فيها .

وقد أخبر القرآن في غير موضع أن الأنبياء كلهم ، كان دينهم

الإسلام .

فقال نوح عليه السلام (١٠ — ٧٢) « فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين » .

وقال عن إبراهيم عليه السلام (٢ : ١٣٠ — ١٣٢) « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا

(م ٣ — دين الله واحد)

— ٣٤ —

وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه : أسلم — قال : أسلمت
لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني : إن الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون « وقال يوسف عليه
السلام (١٢ — ١٠١) « فاطر السموات والأرض ، أنت وليي
في الدنيا والآخرة ، توفي مسلماً وألحقني بالصالحين » .

وقالت ماسكة سبأ (٢٧ — ٤٤) « رب إني ظلمت نفسي
وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .
وقال موسى عليه السلام (١٠ — ٨٤) « يا قوم : إن كنتم آمنتم
بالله ، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

وقال سحرة فرعون (٧ — ١٢٥) « وما تنقم منا إلا أن آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا ، وتوفنا مسلمين » .

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام (٣ : ٥٢ ، ٥٣) « فلما
أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟ قال
الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا
بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

— ٦ —

إسلام من في السموات والأرض

وقال تعالى (٣ — ٨٣) « أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من في
السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » .

— ٣٥ —

المعنى : — أيتولون عن الإيمان بعد هذا البيان — وهو أن دينه واحد . وأن رسله متفقون فيه ، فيبتغون غير دين الله الذى هو الإسلام (وله أسلم من فى السموات والأرض) أى والحال أن جميع من فى السموات والأرض من العقلاء قد خضعوا له تعالى ، وانقادوا لأمره طائعين وكارهين — وقد اختلفوا فى بيان إسلام الطوع والكره — فذهب بعضهم إلى أن الإسلام هنا متعلق بالتكوين والإيجاد والإعدام ، وبالتكليف — أى أنه تعالى : هو المتصرف فهم وهم الخاضعون المنقادون لتصرفه — قال الرازى : إن هذا هو الأصح عنده وهو كما قال تعالى : وإن من شئ إلا يسبح بحمده (١٧ : ٤٤) .

— ٧ —

ملة إبراهيم

قال تعالى فى القرآن الكريم (٣ : ١٣٠ — ١٣٣) « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوب : يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء : إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، إلهنا واحدا ، ونحن له مسلمون » .

— ٣٦ —

قال الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير هذه الآيات (١) :

خلاصة هذه الوصية عقيدة الوحدانية في العبادة ، وإسلام القلب له تعالى ، والإخلاص له — وتكرار لفظ (الإسلام) في هذه الآيات يراد به تقرير (حقيقة الدين) ذلك أن العرب كانت تدعى أن لها ديناً خاصاً بها ، وأنه الحق ، وإن اختلفت فيه القبائل والشعوب ، ومنهم من كان ينتمى إلى إبراهيم على وثنيتهم ، وكذلك اليهود والنصارى ، كل يدعى ديناً خاصاً به وأنه الحق ، فبينت هذه الآيات أن هذه الدعاوى من التعصب للقبائل ، وأن دين الله تعالى واحد في حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى ، والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء — وبهذا كان يوصى أولئك النبيون أبناءهم وأممهم — فبين أن دين الله تعالى واحد ، دين كل أمة ، وعلى لسان كل نبي . ولذلك قال في آية أخرى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً — والذي أوحينا إليك — وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى — أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

— ٨ —

التفرق في الدين جاء من الجهل والتعصب

فالتفرق في الدين ما جاء إلا من الجهل والتعصب للأهواء ، والمحافظة على الحظوظ والمنافع المتبادلة بين المرءوسين والرؤساء ،

(١) ص ٤٧٧ ج ١ تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده المعروف بتفسير القرآن الحكيم .

— ٣٧ —

فالقرآن يطالب الجميع بالاتفاق في الدين، والاجتماع على أصلية :
(العقلي) وهو التوحيد ، والبراءة من الشرك بأنواعه .
و(القلبي) وهو الإسلام ، والإخلاص لله في جميع الأعمال.

— ٩ —

الإسلام في كلام إبراهيم وبنيه

وعلم من هذا : أن لفظ الإسلام والمسلمين في كلام إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ، يراد به معناه الذي تقدم . فمن لم يكن متحققاً بهذا المعنى ، فليس بمسلم ، أى ليس على دين الله القيم — الذي كان عليه جميع أنبياء الله .

— ١٠ —

الإسلام في عرفنا اليوم

وأما لفظ الإسلام في عرفنا اليوم، فهو لقب يطلق على طوائف من الناس لهم مميزات دينية وعادية تميزهم عن سائر طوائف الناس الذين يلقبون بألقاب دينية أخرى . ولا يشترط في إطلاق هذا (اللقب العرفي) عند أهله ، أن يكون المسلم خاضعاً مستسلماً لدين الله مخلصاً له أعماله ، بل يطلقونه أيضاً على من ابتدع فيه ما ليس منه ، أو ما يتنافيه ، ومن فسق عنه ، واتخذ إلهاً من هواه الخ (١)

(١) ص ٤٧٨ من نفس المصدر

تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم :

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير الآية (١٣٤) من
سورة البقرة ما نصه :

« تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون
عما كانوا يعملون » . جاءت هذه الآية الكريمة بعد كلام عن وصية
إبراهيم لبنيه وإسماعيل وإسحاق ، ويعقوب ، لبنيهم — استدراكا
على ما عساه يتبع في أذهان ذراري هؤلاء الأنبياء الكرام — عليهم
الصلاة والسلام — من أن هذا السلف الذي له عند الله هذه
المكانة يشفع لهم ، فينجون ويسعدون يوم القيامة بمجرد
الانتساب إليهم ، فبين الله في هذه الآية : أن سنته في عباده أن
لا يحزى أحد إلا بكسبه وعمله ، ولا يسأل إلا عن كسبه وعمله .

وقد بين في سورة النجم — أن هذه القضية من أصول الدين
العامّة التي جاء بها الأنبياء من قبل « أم لم ينبأ بما في صحف موسى
وإبراهيم الذي وفى ، أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى » إلخ .

وبين في آيات متعددة، في سور متفرقة، أن المرسلين لم يرسلوا
إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن بهم ، وعمل بما يشهدون إليه ، كان
ناجياً ، وإن بعد عنهم في النسب ؛ ومن أعرض عن هديهم كان

— ٣٩ —

هالكاً وإن أدلى إليهم بأقرب سبب . « قال : « يا نوح إنه ليس من أهلك (أى ابنه) إنه عمل غير صالح » .

وإذا لم تنتفع بهم ذرياتهم الذين لم يقتلوا بهم ، فكيف ينتفع بهم أولئك البعداء الذين ليس بينهم وبينهم صلة ، إلا الأقوال الكاذبة التي يعبر عنها في هذا العصر (بالمحسوبية) ويقولون في مخاطبة أصحاب القبور عند الاستغاثة بهم (المحسوب كالمحسوب) .
وما أحسن قول الإمام الغزالي :

« إذا كان الجائع — يشبع إذا أكل والده دونه ، والظمان يروى بشرب والده ، وإن لم يشرب ، فالعاصي ينجو بصلاح والده » .
والآيات التي تؤيد هذه الآية كثيرة جداً ، فهي أصل من أصول الدين الإلهي لا يفيد معها تأويل المغرورين ، ولا غرور الجاهلين .

— ١١ —

دين الله في السكتب التي سبقت القرآن

ما في العهد القديم

عرضنا عليك ما جاء في القرآن الكريم من أن دين الله واحد ، ودعوة كل رسول في ذلك ، وأن لنا أن نؤيد ما جاء في القرآن من السكتب التي سبقتة ليكون ذلك أدعى إلى الثقة ، وأدنى إلى اليقين .

— ٤٠ —

إن من يطلع على العهد القديم ، يجد أن كتيبه وأسفاره تنطق كلها بأن الله واحد أزلي قادر على كل شيء ، يفعل ما يشاء ويختار ، وإذا كان فيه استعارات ومجازات تبدو في ظاهرها غامضة ، فإن الأفهام الدقيقة تنفذ إليها ، وتقف على أسرارها .

بما لا خلاف فيه أن رسل الله الذين أرسلهم لهداية الناس لا يمكن حصرهم ، ولا معرفة أسمائهم ، لأن الله تعالى يقول : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » . وإذا كان ذلك من أدلة النقل ، فإنه ولا ريب مما يؤيده العقل ، وإنا نذكر هنا أشهر الرسل التي جاءت أنباؤهم في العهد العتيق وبخاصة موسى وعيسى عليهما السلام . (١)

— ١٢ —

إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام

ثم كلم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، بأني الإله القادر على كل شيء .
سفر الخروج ٦ : ٢ و ٣

(١) قال تعالى : قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وقال : وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . والحديث « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين ، وإنما أنا رسول من المرسلين » .

— ٤١ —

— ١٣ —

الوصايا العشر لموسى عليه السلام

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهم، لا تعبد هن، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى، واصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً — اذكر يوم السبت لتقدسده — ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما، أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح فى السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. أكرم أباك وأماك لكي تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك. لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك (١) — سفر الخروج ٢٠: ١ — ١٧

(١) هذه الوصايا جاءت بنصها فى الإصحاح الخامس من سفر التثنية

— ٤٣ —

وفي الإصحاح ٢٣ : ٢٥ و ٢٦ من سفر الخروج :
لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدوها ، ولا تعمل كأعمالهم ، بل
تبيدهم . وتكسر أصنامهم ، وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك
وماءك ، وأزيل المرض من بينكم .

— ١٤ —

من سفر التثنية

إنك قد أريت لتعلم : أن الرب هو الإله ، وليس آخر سواه .
فاعلم اليوم وردد في قلبك ، أن الرب هو الإله في السماء من فوق ،
وعلى الأرض من أسفل ليس سواه — الإصحاح ٤ : ٣٥ و ٣٩ .

وفي الإصحاح السادس : ٤ — ٧ و ١٣ — ١٥ و ١٨ :

اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك
من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ، وتكن هذه الكلمات
التي أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك — الرب
إلهك تتقي ، وإياه تعبد ، وباسمه تخاف — ولا تسيروا وراء آلهة
أخرى من آلهة الأمم التي حولكم ، لأن الرب إلهكم إله غيور في

== (أو الاستثناء) وختمها هناك بهذه العبارة « هذه الكلمات تسلم بها
الرب إلى كل جماعتكم في الجبل وسط النار والسحاب والضباب ، وصوت
عظيم ، ولم يزد ، وكتبها على لوحين من حجر وأعطاني إياها . وبدأها بما
يلي : ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم : اسمع يا إسرائيل ، الفرائض
والأحكام : الرب إلهنا قطع معنا عهدا في حوريب فقال : ٦/٥ — ٢٢ /

— ٤٣ —

وسطكم لئلا يحسبى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض - إعمل الصالح الحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير .

وفي الإصحاح العاشر : ١٢ و ١٣ و ١٧ و ٢٠ :

فالآن يا سرائيل : ما ذا يطلب منك الرب إلهك ؟ إلا أن تتقي الرب إلهك ، لتسلك في كل طريقه وتعبده ، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه : إن الرب إلهكم هو إله الآلهة ، ورب الأرباب الإله الجبار المهيب : الرب إلهك تتقي - إياه تعبد ، وبه تلتصق ، وباسمه تحلف .

— ٤٥ —

من سفر أشعياء

الإصحاح الأربعون : ٢٨

أما عرفت ؟ أم لم تسمع ؟ إله الدهر الرب ، خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحس

وفي الإصحاح ٤٤ : ٦ و ٢١

هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه ، رب الجنود ، أنا الأول ، وأنا الآخر ، ولا إله غيري - اذكر هذه يا يعقوب ، يا إسرائيل فإنك أنت عبدى ، قد جبلت لك عبداً إلى أنت .

وفي الإصحاح ٤٥ : ٣ و ٥ و ٦ و ٧

وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخاض ، لكي تعرف أنى أنا

— ٤٤ —

الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل - أنا الرب وليس آخر ،
لا إله سواى نطقتك وأنت لم تعرفنى ، لىكى يعلموا من مشرق الشمس
ومن مغربها أن ليس غيرى ، أنا الرب وليس آخر ، مصور النور ،
وخالق الظلمة ، صانع السلام .

وفى الإصحاح ٤٦ : ٩ اذكروا الأوليات منذ القديم ، لأنى
أنا الله وليس آخر ، الإله وليس مثلى .

— ١٦ —

الديانة الحقيقية

مينا ٦ : ٨

قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب
— إلا أن تصنع الحق ، وتحب الرحمة ، وتسلك متواضعا مع إلهك .

— ١٧ —

من ترنيمة لداود

مزمو ١٠٣ - ١ - ١٩ و ٦

باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى ، ليبارك إسمه القدوس ،
باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته ، الذى يغفر جميع
ذنوبك ، الذى يشفى كل أمراضك ، الذى يقضى من الحفرة حياتك ،
الذى يكملك بالرحمة والرأفة ، الذى يشبع بالخير عمرك ، فيتجدد
مثل النسر شبابك .

الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين ، عرف موسى

— ٤٥ —

طرقه وبنى اسرائيل أفعاله ، الرب رحيم ورءوف طويل الروح
وكثير الرحمة ، الرب في السموات ثبت كرسيه ، ومملكته على الكل تسود .

— ١٨ —

من سفر أرميا

١٠ - ١٠ و ١٢

أما الرب الإله فحق ، هو إله حي ، ومالك أبدى . صانع الأرض
بقوته ، مؤسس المسكونة بحكمته .

— ١٩ —

رسالة عيسى عليه السلام

جاء عيسى عليه السلام يمشى على طريق إخوانه من الرسل
الكرام ، يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، وليكمل ما نقص من
الديانة التي جاءت قبله على لسان موسى عليه السلام ، كما هي سنة
الرسل أجمعين ، اللاحق يكمل شريعة السابق .

وكان الكتبة (١) والفريسيون (٢) أو غيرهم قد ظنوا أنه سينقض
الناموس الذي أتى به موسى ، فلم ير بداً من أن يحمر بقوله عليه السلام :

(١) الكتبة هو المفسر والمعلم للشريعة الموسوية والقانون
التقليدي سراج جمع كتبة .

(٢) الفريسيون مدرسة دينية بين اليهود تتميز بمحافظتها بحافضة دقيقة
على مبادئ القانون والدين ، وهذا اللفظ أصبح يطاق على أى شخص يراعى
الصور السطحية للدين ولا ينفذ إلى الروح .

— ٤٦ —

« لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت
لأنقض بل لأكمل فإنني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء
والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس
حتى يكمل الكل . متى - إصحاح ١٧/٥ و ١٨

وفي رواية أخرى :

« لا تظنوا أني أتيت لأحل الناموس والأنبياء ، إني لم آت
لأحل ، لكن لأتمم ، الحق أقول لكم : إنه إلى أن تزول السماء
والأرض ، لا تزول ياء أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل » .

— ٢٠ —

الناموس الذي جاء عيسى عليه السلام ليكمله

أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل :

أنا إله إبراهيم ، وإله إسحاق وإله يعقوب - فلما سمع الجمع
بهتوا من تعليمه .

أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين (١) اجتمعوا معاً
وسأله واحد منهم ، وهو ناموسي ليحج به قائلاً : يا معلم ، أية وصية
هي العظمى في الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب إلهك من
كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، هذه هي الوصية

(١) الصدوقيون - حزب أو مدرسة عند اليهود من المتشككين -
وكانت لهم تقاليد أرستقراطية في أوائل العهد المسيحي .

— ٤٧ —

الأولى والعظمى ، والثانية مثلها — تحب قريبك كنفسك —
بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأزبياء .

متى : ٢٢ — ٣١ — ٤٠

— ٣١ —

الناموس كما جاء في إنجيل مرقس

وقد جاء ذكر الناموس في إنجيل مرقس بأوسع من ذلك —
وهذا نص ما ورد فيه :

أفما قرأتم في كتاب موسى كيف كله الله قائلا : أنا إله إبراهيم
وإله إسحاق ، وإله يعقوب ، ليس هو إله أموات ، بل إله أحياء ،
فأنتم إذا تضلون كثيرا .

فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم
حسنا ، سأله أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول
كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ،
وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل
فكرك ومن كل قدرتك .

هذه هي الوصية الأولى :

وثانية مثلها :

هي : تحب قريبك كنفسك .

ليس وصية أخرى أعظم من هاتين .

— ٤٨ —

فقال له الكاتب: جيداً (١) يا معلم بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل النفس ، ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح .

فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل ، قال له : لست بعيداً عن ملكوت الله .
إنجيل مرقس : ١٢ / ٣٦ / ٣٤

« أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته »
تسكلم يسوع ورفع عينيه نحو السماء وقال : أيها الأب قد أتت الساعة ، مجد إبنك ليمجدك إبنك (٢) أيضاً ، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ، ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته — وهذه هي الحياة الأبدية — أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته .
يوحنا ١٧ — ١ — ٣

— ٢٢ —

أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم

قال يسوع لمريم المجدلية : لا تلمسيني لأني لم أرفع بعد إلى أبي

(١) في نسخة : حسن يا معلم بالحق قلت

(٢) قلنا من قبل إن الكتاب المقدس ذو استعارات بعيدة الغور لا يفهمها إلا معاصروه أو الذين أوتوا فهمها ثاقباً . راجع ما قاله السيد جمال الدين الأفغاني في بيان مغزى أقوال السيد المسيح — فيما بعد .

— ٤٩ —

واسكن اذهبي - وفي نسخة ، بل إمضى - إلى إخوتي وقولي لهم :
إني صاعد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم .

يوحنا ٢٠ - ١٧

مكتوب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد

... ثم أخذه (١) أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع
ملك العالم ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت
لي . حينذاك قال له يسوع : اذهب يا شيطان فإنه مكتوب : للرب
إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد .

متى : ٤ - ٨ و ٩ و ١٠

ما قاله السيد المسيح عليه السلام عند ما قدم للصلب (١)

ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلي
إيلي - أي إلهي ، إلهي - لماذا تركتني ؟ . وفي نسخة لماذا شقيقتني ؟
وهي بمعنى تركتني .

متى : ٢٧ - ٤٦

وفي إنجيل لوقا ٢٣ - ٤٦ :

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك أستودع
روحي ، ولما قال هذا ، أسلم الروح .

(١) لما أخرج يسوع إلى البرية ليحرب من إبليس ، أخذه إبليس
إلى جبل عال وقال له ما قال

(٢) نقلنا ذلك عن مصدره بنهضه كما وجدناه .

(م ٤ - دين الله واحد)

— ٥٠ —

الصالح واحد - وهو الله وحده

تقدم للسيد المسيح واحد وقال له : أيها المعلم الصالح ، أى صالح
أعمل لتسكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحاً ؟
ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله .

متى ١٩ - ١٦

وفى إنجيل لوقا : إنه لا صالح إلا الله وحده .

١٨ : ١٩

— ٥١ —

— ٢٣ —

إقتداء النبي محمد بمن قبله

قبل أن نتكلم عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، يجب أن نبين موقفه من إخوانه الذين سبقوه برسالات الله إلى الناس ، حتى نربط القول بعبءه ببعض فنقول : إنه ما دامت إرادة الله قد قضت بأن يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم ليبلغ رسالته إلى الناس ، وأن يحمل هذا العبء الثقيل ، الذي حمله أولو العزم من الرسل من قبل ، فإن مما أوجبه الله عليه أن يعرف من تقدموه إلى حمل الرسالات الدينية ، ويقف على سيرتهم مع أقوامهم ، وما نالوه من أذى في سبيل دعوتهم ، وأن يقتدى بهم ، ويكون له أسوة فيهم ، وبذلك يتبين له منار الطريق الذي سيسلكه ، ويكون على بصيرة منه في أداء رسالته ، وعلى هذا الهدى يبلغ الغاية التي بلغها إخوانه من المرسلين ، وإذا لم يفعل ذلك لا يكون قد استكمل وسائل الدعوة ، ولا استوفى ما يلزم لها .

أولئك الذين هدى الله ، فبهذا هم اقتدوه

قال تعالى في سورة الأنعام (٨٣ — ٩٠) .

«و تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان ، وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا

ويحيى وعيسى وإلياس، كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس، ولوطا، وكلا فضلنا على العالمين، ومن آباؤهم وذرياتهم، وإخوانهم واجتنبناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم - ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم، والنبوة، فإن يكفر بها هؤلاء، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، قل لا أسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكرى للعالمين .

قال جار الله الزمخشري (١) فبهداهم اقتده - فاختص هداهم بالاعتداء، ولا تقتد إلا بهم - وهذا معنى تقديم المفعول - والمراد بهم طريقةتهم في الإيمان بالله وتوحيده، وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة، وهى هدى ما لم تنسخ . فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً و(الهاء)، فى اقتده للوقف، فتسقط فى الدرج، واستحسن إشار الوقف لثبات الهاء فى المصحف .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٢):

فبهداهم اقتده - أى اقتد واتبع - وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمتته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به .

(١) ص ٢٦ ج ٢ من التفسير .

(٢) ص ١٥٥، ١٥٦ ج ٢ .

— ٥٣ —

وقال ابن عباس (١) : نبيكم أمر أن يقتدى بهم .

وقال ابن حجر العسقلاني (٢) : وأجابوا عن الآية - بأن المراد اتباعهم فيما أنزل عليه وفاقه ، ولو على طريق الإجمال فيتبعهم في التفصيل ، وهذا هو الأصح عن كثير من الشافعية ، واختاره إمام الحرمين ومن تبعه .

وقد استدلل بهذا على أن شرع ما قبلنا شرع لنا وهذه مسألة مشهورة في علم الأصول .

كتب الرسل فيها هدى ونور

بعد أن أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهدى من قبله من الرسل ، بين له أن الكتب التي أوحى بها إلى هؤلاء الرسل وبخاصة التوراة والإنجيل فيها - هدى ونور .

في التوراة والإنجيل هدى للناس

قال تعالى في سورة آل عمران : ٣ و ٤ .

«نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل ، هدى للناس ، وأنزل الفرقان» .

(١) ابن عم النبي .

(٢) ص ٢٣٨ ج ٨ فتح الباري .

التوراة فيها هدى ونور

وقال في سورة المائدة : ٤٤ (١)

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً . »

الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين

وفي سورة المائدة : ٤٦ و ٤٧

« وقفيناه على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه - من التوراة - وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . »

جاء عيسى عليه السلام بالبينات والحكمة

وفي سورة الزخرف : ٦٣ و ٦٤ .

ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين

(١) سورة المائدة هي آخر سورة نزلت ونظمت فيها معاملة المسلمين

مع أهل الكتاب - أنظر ما قاله ابن تيمية في ص ٧٩ .

— ٥٥ —

لكم بعض الذى تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون — إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم .

القرآن مصدق بالتوراة والإنجيل

نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم بأن القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة — والإنجيل ، وهكذا يجب أن تكون كل كتب الله مصدقا بعضها لبعض ، مادامت من مصدر واحد ، ففي أول سورة آل عمران قال تعالى :

«الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس — وأنزل الفرقان .»

والفرقان هو العقل الذى تسكون به التفرقة بين الحق والباطل وقال فى سورة فاطر : ٣١

«والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ، إن الله بعباده لخبير بصير ، وفى سورة الانعام : ٩٢
« وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذى بين يديه .»

— ٥٦ —

— ٢٤ —

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

كانت العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الله العامة قد تخلفت في جاهليتها إلى ساقاة الأمم ضلالا و جهلا ، لا يفقهون من أمر الحياة شيئا ، ولا يحسنون من العمل إلا الحروب والغارات ، واعتداء كل قبيلة على ما جاورها لسلب أموالها وبسي نسائها — وكانت لهم عادات ذميمة ، وفعال منكرة ، حتى بلغ من أمر بعضهم أنهم كانوا يئدون خشية العار بناتهم .

وقد انحدروا إلى أحط درك من الجاهالة الدينية ، فكانوا يعبدون الأصنام ويقدمون لها الذبائح والقرايين — وعلى أنهم قد اتخذوا حول (الكعبة) التي يطوفون بها في حجهم مئات الأصنام ، فإن كل واحد منهم قد اتخذ لنفسه صنما خاصا وضعه في بيته ليطوف حوله قبل أن يخرج منه ليضرب في الأرض بركته .

فأراد الله أن يبدل حياتهم ويخرجهم عما هم فيه إلى حياة كريمة تتفق وكرامة الإنسان ، فبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول الله في سورة الجمعة :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة — وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ولم يقل للناس عندما ظهر بدعوته ، إن رسالته جديدة في أصلها ،

— ٥٧ —

بل صرح في آيات كثيرة أنه قد سبقه رجال غيره اصطفاهم الله لمثلها ، ولم يدع أن الدين الذي بعث به ، هو دين خاص له ، لم ينزل على أحد قبله ، بل قرر أنه دين الله الذي بعث به سائر الرسل لهداية الناس ، ولذلك أمر أن يجهر بهذه الآية الكريمة :

« قل ما كنت بدعا من الرسل — وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ — وما أنا إلا نذير مبين »

سورة الأحقاف : ٩

ثم نطق القرآن بهذه الآية الكريمة من سورة النساء : ١٦٣

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناهم داود زبوراً .

الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب ، وما أرسل من رسل

أوجب الله على محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمن هو وأُمَّته بجميع الرسل الذين سبقوه ، بالكتب التي أوحاها الله إليهم .

ففي الآية ٢٨٥ من سورة البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

والآيات ١٣٦ - ١٣٨ من هذه السورة نصها :

«قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط (١) وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » . وقد تكررت هذه الآية في سورة آل عمران : ٨٤ بهذا النص :

«قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وقد جاء في تفسيرها (٢) أى لا تكن دعوتكم إلى شيء خاص بكم ، يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية بل انظروا إلى جهة الجمع والاتفاق وادعوا إلى (أصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع) وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين مع الإسلام رب العالمين ، لا نعبد إلا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسله (وصبغة الله) هى ما صبغ به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة ، فلا دخل فيه للتقاليد الوضعية ، ولا لآراء الرؤساء ، وأهواء الزعماء وإنما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولا صنع صانع ،

(١) الأسباط ، أولاد يعقوب (٢) أى الآية ١٣٦ من سورة البقرة

— ٥٩ —

ولا أحسن من صبغته تعالى فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل ، ويزكي النفوس ويطهر العقول والقلوب .

والآية تشير كذلك إلى أنه لا حاجة في الإسلام إلى تمييز المسلم من غيره بأعمال صناعية ، كالمعمودية عند النصارى مثلاً ، وإنما المدار فيه على ما صبغ الله به الفطرة السليمة ، من الإخلاص وحب الخير والإعتدال والقصد في الأمور .

وهذه الصبغة هي التي جاءت في الآية ٣٠ من سورة الروم وهي :

« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

وجاءت الآية ١٣٩ من سورة البقرة بهذا الأمر :

« قل أتحاجوننا في الله ، وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون » . والآية ١٤١ من السورة تقول :

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »

وجاءت الآية ١٣٦ من سورة النساء بهذا النداء :

« يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته ، وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » .

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب

جاء أمر الله صريحاً بالدعوة التي يوجهها محمد صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتاب وذلك في الآية الرابعة والستين من سورة آل عمران ونصها :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (١) بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله — فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »
ذلك بأن الدين الحق مبنى على قاعدتين : أن لا يعبد إلا الله ، ولا يعبد إلا بما أمر .

ولما كانت هذه الآية السكرية أساس الدين المتين ، فاستوسع في ، إيراد ما جاء في تفسيرها بأقلام كبار أئمة المسلمين :
قال جار الله الزمخشري في تفسير هذه الآية :

(سواء بيننا وبينكم) ، مستوية بيننا وبينكم ، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل ، وتفسير الكلمة - قوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) فلا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى شرع الله كقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) وعن عدي بن حاتم : ما كنا نعبدهم يا رسول الله ، إقال : أليس كانوا

(١) السواء العدل ، قال زهير بن أبي سلمى :

فإن تدعوا السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء

يحملون لكم ويحرمون ، فتأخذون بقولهم ؟ قال : نعم ، قال : هو ذلك :
وقرأ الحسن : سواء - بالنصب - بمعنى استوتوا .
وقال ابن كثير في تفسيرها :

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن
جرى مجراهم . إلى (كلمة) الكلمة تطلق على الجملة المفيدة - كما قالها
ههنا ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أى عدل ونصف
نستوى نحن وأنتم فيها . ثم فسرهما بقوله وأورد الآية :
وقال ابن حجر العسقلاني في تفسير هذه الآية :

قال أبو عبيدة : فى قوله (إلى كلمة سواء) - أى عدل ، وكذا
أخرجه الطبري وغيره ، ونسبها الفراء إلى قراءة ابن مسعود ، والمراد
بالكلمة (لا إله إلا الله) وعلى ذلك يدل سياق الآية الذى تضمنه
قوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) ، ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله (فإن جميع ذلك داخل تحت كلمة الحق - والكلمة
على هذا بمعنى الكلام ، وذلك سائغ فى اللغة فتطابق الكلمة على
الكلمات - لأن بعضها ارتبط ببعض ، فصارت فى قوة الكلمة الواحدة
بخلاف اصطلاح النحاة فى تفريقهم بين الكلام والكلمة (١) .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآية (٢) :

دعاهم إلى أصل الدين وروحه الذى اتفقت عليه دعوة الأنبياء

(١) يقول النحويون : إن الكلمة هى اللفظ المفرد الدال على المعنى ،
والمركب المفيد فائدة يحسن السكوت عليها يسمى كلاما . وجملة قال ابن
مالك : وكلمة بها كلام قد يؤم (٢) ص ٣٢٥ وما بعده حاج ٣ تفسير المنار

وهو سواء بين الفريقين - أى عدل ووسط - لا يرجع فيه طرف على آخر. وقد فسر به بقوله : « أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله » . والمراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحداية الربوبية وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء . والمعنى : أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد ، والتصرف فيه لإله واحد هو خالقه ومديره ، وهو الذى يعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه ، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ، ورفض الشبهات التى تعرض لها - وكان اليهود موحدين ولكن كان عندهم شيء هو منبع شقايتهم فى كل حين ، وهو إتباع رؤساء الدين فيما يقررونه ، وجعله بمنزلة الأحكام المنزلة من الله تعالى (١) . وجرى النصارى على ذلك وزادوا مسألة غفران الخطايا - وهى مسألة تفاقم أمرها فى بعض الأزمان حين ابتلعت بها الكنائس أكثر أملاك الناس ، ومن الغلو فيها ولدت مسألة البروتستانت إذ قاموا فقالوا : هلم بنا نترك هؤلاء الأرباب من دون الله ، ونأخذ الدين من كتابه لا نشرك معه فى ذلك قول أحد .

(١) فى حديث عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنق صليب من ذهب وسميته يقرأ فى سورة براءة : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فقلت : يا رسول الله لم يسكنوا يعبدونهم ، فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت : بلى - راجع صفحة ٦٠ .

والآية حجة على أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد ما لم يستنده إلى المعصوم (١) ، أى فى مسائل الدين البحت . أما المسائل الدينوية كالتضام والسياسة فهى مفوضة بأمر الله الى أولى الأمر .

هذه الآية أساس الدين المتين

إن هذه الآية أساس الدين المتين، وأصله الأصيل، ولذلك كان النبي يدعو بها جميع أهل الكتاب إلى الإسلام ، كما ثبت فى كتبه إلى هرقل والمقوقس وغيرهما وهذا نص كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عاهل الروم ، كما فى رواية البخارى .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . فإنى أدعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم البريسمين و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً — الآية إلى آخرها فلو لا أن هذه الآية الكريمة أساس الدين وعموده لما جعلها آية الدعوة إلى الإسلام .

فهل يعذر من يؤمن بها إذا هو أدخل فيها — باجتهاده — ما ليس

(١) الكلام هنا للمسلمين ، والمعصوم يقصد به النبي وكذلك الأمر فى اليهود والنصارى فإنه لا يجوز لأحد منهم أن يأخذ بقول أحد ما لم يستنده إسناداً صحيحاً إلى موسى وعيسى عليهما السلام .

منها فاتخذ له أندادا ، يدعوهم لكشف الضر و جلب النفع ، زاعما أنهم وسائط يقربونه إلى الله زلفى ، ويشفعون له عنده في مصالح الدنيا ، وهذا عين الإشرak فى الألوهية بالاجتهاد الباطل ، والقياس الفاسد الذى يشبهه الخبير العليم ، الرحمن الرحيم ، بالملوك الجاهلين ، والأمراء المستبدين ! ولا اجتهاد فى العقائد ولا قياس فى أصل الإيمان .

أم هل يعذر من يؤمن بها — أى بهذه الآية الكريمة — إذا هو اتخذ لنفسه أربابا سماهم العلماء الراسخين ، أو الأئمة المجتهدين فجعل كلامهم حجة فى الدين ، وشرعا متبعا فى التحليل والتحريم ؟! وذلك هو عين الإشرak فى الربوبية ، والخروج عن هداية الآية القرآنية المؤيدة بمثل قوله تعالى (٤٢ : ٢١ - أم لهم شركاء شرعوا لهم فى الدين ما لم يأذن به الله ؟) وقوله (١٦ : ١١٦ - ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب ، هذا حلال وهذا حرام) .

فإن الله تعالى قد حدد الحدود (١) ، وبين الحلال والحرام ، وسكت عن أشياء رحمة بغير نسيان منه عز وجل ، ونهانا نبيه أن نبحث عما سكت عنه ، وأن نزيد فى الدين برأينا واجتهادنا ، وإنما أباح لنا

(١) فى حديث صحيح : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء (وفى رواية ونهى عن أشياء) فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء (وفى رواية وعفى عن أشياء) رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها — وفى رواية (فلا تبحثوا عنها) ،

الاجتهاد لاستنباط ما تقوم به مصالحنا في الدنيا — فهذا هو هدى الآية ، وما يعقلها إلا العالمون .

(الله ربنا وربكم - لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)

بما أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يستعلن به لأهل الكتاب وغيرهم ، ويكون من دعوته العامة — هذه الآية الكريمة من سورة الشورى : ١٥ ونصها :

« فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير . »

قال ابن كثير (١) اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ولها حكم برأسها ، قالوا : لا نظير لها سوى آية الكرسي فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه .

وقوله (فلذلك فادع) أى فللذى أوحينا إليك من الدين — الذى أوحينا به إلى جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كماولى العزم وغيرهم ، فادع الناس إليه .

(١) ص ١٠٩ ج ٤ .

— ٦٦ —

(واستقيم كما أمرت) أى واستقيم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل .

(ولا تتبع أهواءهم) يعنى المشركين فيما اختلقوه وكذبوه ، وافتروه من عبادة الأوثان وقل : (آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم .

(وأمرت لأعدل بينكم) أى فى الحكم كما أمرنى الله .

(الله ربنا وربكم) أى هو المعبود لا آله غيره ، فنحن نقر بذلك اختياراً - وأنتم وإن لم تفعلوا اختياراً - فله يسجد من فى العالمين طوعاً وإجباراً ، وقوله تبارك وتعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى نحن براء منكم - كما قال سبحانه وتعالى (وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل (وأنا برىء مما تعملون) (لا حجة بيننا) . قال مجاهد ، لا خصومة ، وقوله عز وجل (الله يجمع بيننا) أى يوم القيامة كقوله قل يجمع بيننا ربنا ، ثم يفتح بيننا (أى يحكم بيننا) بالحق وهو الفتح العليم .

(وإليه المصير) أى المرجع والمآب .

(الله هو الذى يحكم بين الناس جميعاً)

وكما جعل الله دينه واحداً ، وجعل المدار فيه على الإيمان بالله ،

والعمل الصالح ، والإيمان باليوم الآخر ، وأنه ليس بأمانى أحد من أهل الأديان جميعاً فمن يعمل سوءاً يجز به ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، فإنه سبحانه قد جعل الفصل بين عبادته من حقه وحده سبحانه يوم القيامة ، لأنه هو الشهيد الخبير بأعمال الناس . وموازن الحساب وتقدير الأعمال ليست في الأرض ، وإنما هي في السماء : قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (الآية ٤٧ من سورة الأنبياء) . ولذلك قال تعالى في الآية ١٧ من سورة الحج :

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس - والذين أشركوا - إن الله يفصل بينهم يوم القيامة . إن الله على كل شيء شهيد » .

وقال تعالى في سورة الدخان : ٤٠

إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين .

(مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن)

لكي يجتمع الناس جميعاً على وئام ، ويعيش المسلمون مع أهل الكتاب في سلام ، كما تدعو بذلك أصول الأديان ، ويقتضيه

(١) انظر هنا في يوم الفصل فقد جعل الله المشركين غير أهل الكتاب

نظام الاجتماع وسنن العمران ، أمر الله المسلمين أن يجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن وذلك في سورة العنكبوت : ٤٦ « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

بر أهل الكتاب والإقسط اليهم

وأمرنا الله سبحانه أن نبر أهل الكتاب ونقسط إليهم فقال في الآية الثامنة من سورة الممتحنة : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

أما الذين يقاتلوننا ويخرجوننا من ديارنا ويسيطون إلينا ويظاهرون علينا ، كالصهيونيين الملاحين ، وجميع من يؤيدونهم من أى جنس من اليهود البغاة الفاسقين ، فهو لاء لا يستحقون منا براً ولا إقسطاً وإنما جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا ، حتى تتطهر الأرض منهم ، لأنهم رجس من عمل الشيطان ، وملعونون في كل زمان . وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، يبرأون منهم ومن أعمالهم الإجرامية في أى مكان .

دعوته العامة

بيننا آنفاً دعوة كل رسول إلى التوحيد من نوح إلى عيسى عليهم

— ٦٩ —

السلام ، وآن لنا أن نأتى بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم لمشركى العرب ، بعد أن بينا دعوته لأهل الكتاب التى جاءت فى الآية :
« قل يا أهل الكتاب إلیخ » .

ولأن الشرك كان فى العرب متفشياً حتى لقد كان لكل قبيلة
بل فى كل بيت - كما قلنا - صنم يعبد فقد كرر الله الدعوة فى ذلك
وشدد تشديداً عظيماً حتى لا نكاد نجد سورة من سور القرآن إلا
وفىها آية أو آيات كثيرة تدعو إلى التوحيد الخالص . وإنا نكتفى
هنا بإيراد طرف منها ، لأننا إذا نقلنا كل آيات التوحيد التى فى
القرآن فإننا نحتاج إلى أن نكرس لذلك كتاباً كبيراً ، وفى سورة
إبراهيم ٥٢ :

« هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحد
وليدكر أولو الألباب » .

وفى سورة البقرة : ٢١ و ٢٢ .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ، والذين من قبلكم ،
لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل
من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله
أنداداً وأنتم تعلمون » .

وقال فى الآية ١٦٣ / ١٦٤ من هذه السورة :

« وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، إن فى خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى

البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون .

وفي سورة فصلت : ٦

« قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ، إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين . »

وفي سورة الصافات : ٤ و ٥ :

« إن إلهكم لو واحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارف . »

وبين للمشركين أوضح بيان ، بأن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون شيئاً ، فقال في سورة فاطر : ١٣ و ١٤ :

« يوجل الليل في النهار ويوجل النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١) ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير . »

(١) القطمير هو النى الذى بين النواة والثمرة — وهو القشرة الرقيقة .

أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين

وقد ضرب الله أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين فقال في سورة الحج : ٧٣ و ٧٤ « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز . »

الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك

ولتأكيد القرآن في النهي عن الشرك قال :
« إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . »
أي أنه يغفر كل الذنوب حتى الكبائر لمن يشاء ، إلا الشرك فإنه لا يغفره بأي حال .

الدعوة بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن

أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقيم دعوته على قواعد الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وألا يجادل إلا بالتي هي أحسن .

فقال له في سورة النحل : ١٢٥

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم

— ٧٢ —

بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

ذلك بأن الناس، أمام كل دعوة أصناف ثلاثة :-

(١) خاصة - وهم العلماء أهل النظر والفهم ، فهؤلاء إنما تكون دعوتهم (بالحكمة) وإقامة الدليل العلى والعقلى . وما أسرع العقول المستنيرة إلى فهم الحق واستساغة الحكمة .

(٢) عامة - لم يصلوا إلى مرتبة أهل النظر والفكر - فدعوتهم بالبرهان العقلى أو العلى لا تنفعهم ، وإنما الذى يجدى معهم ، ويبلغ من نفوسهم وقلوبهم . هى (الموعظة الحسنة) التى لا تقوم على أدلة علمية ، ولا قضايا منطقية ، وعلى الداعى أن ينزل إلى عقولهم لا يتأثم ما تستسيغه مما يناسبها .

(٣) معاندون مجادلون - وهؤلاء لا يقنعهم دليل ، ولا يسلمون بحجة ، فجدالهم لا يكون إلا بالتى هى أحسن لأن الشدة المنطقية أو القوة العلمية ، إنما تزيدهم عناداً وتعصباً لآرائهم .

وقد جمعت هذه الآية الكريمة أصول الدعوة الصحيحة من أطرافها كما انتهت إليه علوم النفس الحديثة .

ومن أجل ذلك كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب - وهم أهل فكر وعقل ودين - بالحكمة - وكانت للأمة من أهل مكة ومن على شاكلتهم ، بالموعظة الحسنة ليجمعهم

على إله واحد يعبدونه وحده ، ولا يشركون به شيئاً ، أما المعاندون
فكان يجادلهم بالتي هي أحسن .

الحرية التامة في دعوته

وقد أمره الله بذلك في نشر دعوته لكي يدع للناس الحرية
التامة في أن يأخذوا بدعوته أو يدعوها - إذ لا يصح أن يكره
أحد على الإيمان بدينه ، أو أن يسيطر على أى إنسان وإنما عليه
البلاغ فحسب .

ذلك بأن الإيمان لا يبني إلا على الاطمئنان القلبي ، والاقتناع
العقلي ، وإليك آيات كريمة تصرح بذلك تصريحاً لا لبس فيه ولا إبهام :
« ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون .
المائدة : ٩٩

وفي سورة يونس : ١٠٨

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فإنما يهتدى
لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل .

وقال في سورة البقرة : ٢٥٦

لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر
بالتأغوت (١) ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام
لها والله سميع عليم .

(١) التأغوت هو كل ما تكون عبادته والإيمان به سبباً للطغيان ،
والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقدس ، وهوى يتبع .

— ٧٤ —

وفي الآية ٢٧٢ من هذه السورة :
 « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء »
 وقال في سورة الأنعام : ١٠٧
 « وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل »
 وفي سورة الغاشية : ٢١ و ٢٢
 « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

— ٢٥ —

اليهود والنصارى أهل كتاب وليسوا بمشركين ولا كافرين

مما نذكره والأسى يملأ جوانحنا أن هناك فكرة خطيرة أقرقت
 فينا ، وكان لها ولا ريب أثر كبير في الخلاف بيننا وبين إخواننا
 من غير المسلمين ، تلك الفكرة هي أن بعض رجال الدين من
 المسلمين - كما بينا في مقدمة هذه الرسالة - يعتبرون اليهود والنصارى
 مشركين أو كافرين ؛ وأنه يجب أن يعاملهم المسلمون على ذلك !
 وقد انتشرت هذه النزعة إلى العامة ففعلت في نفوسهم فعلمها .

وهذا الأمر الذي يأسى له كل عاقل ، إنما مرده إلى الجهل
 بأصول الأديان عامة ، ودين الإسلام خاصة ، وما شاب هذا الجهل
 من تعصب عمقوت ، لا تبرح جذوره متأصلة في بعض النفوس بغير
 علم ولا إدراك ، ولا نظر ثاقب إلى ما تؤدي إليه من ضرر اجتماعي
 وديني معاً .

وقد كنا نظن أن نور العلم ، وانجياب غياهب الجهل في هذا العصر - قد اجتثت هذه الشجرة التي لا تؤتي إلا ثمراً مرّاً ، وقضى على هذه الآفة المزمّنة ، وأن الناس قد عرفوا جميعاً أنهم خالقوا من طينة واحدة ، وأنهم أمام الله سواسية ، وأن كل إنسان حر في اعتقاده ، كما هو حر في تفكيره وعمله ، وأن ليس لأحد أن يتدخل في أمر عقيدته ، أو يتسلل إلى معرفة ما استسر بين جوانحه ، لأن الحكم على عقيدة الرجل من حيث إيمانه أو شركه أو كفره ليس من حق مخلوق في هذه الحياة ، وإنما هو من حق الله وحده وأنه قد استأثر - سبحانه - به ، وهو العليم الخبير الذي يطالع على دخائل القلوب ، ويعلم مطويات الضمائر ، وما تخفى الصدور ، علام الغيوب ، لا تخفى عليه خافية . ولا يظهر على غيبه أحداً .

كنا نظن ذلك - ولكن والأسف - فإن العلم على انتشاره في كل النواحي لم يغير شيئاً مما وقر في النفوس أو حاك بالصدور . ومما يحز في النفس أن يكون مبعث هذه النزعة الضارة من أناس عملهم في الحياة الدعوة إلى السلام والوئام ، والحض على التعاون ونبد الخصام . ولكن جرى عملهم على غير ما يظن الناس فيهم ، لأنهم وجدوا أن حياتهم الدنيوية ، ومصالحهم الشخصية لا تقوم إلا على بذر بذور الفرقة بين الناس ، وبث روح الخلاف بين العباد ، اتباعاً لشريعة الصيد في الماء العكر . ومن أجل ذلك رأينا أن نسوق هنا الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن

اليهود والنصارى لا يعتبرون مشركين ، ولا كافرين ، وأنهم أصحاب كتب سماوية اعترف بها القرآن الكريم ، وأوجب الدين الإسلامى على كل مسلم أن يؤمن بها ، بحيث لا يتم إسلامه إلا بهذا الإيمان - وقد سماهم القرآن الكريم فى كثير من آياته (أهل الكتاب) وأمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم بهذا الاسم ويعاملهم على مفهومه . وإن ذلك فى آيات كثيرة ، منها الآية الرابعة والستون من سورة آل عمران التى ذكرناها لك قبل صفحات ،

ولا يفوتنا أن نبين أن كلامنا عن اليهود هنا ليس على إطلاقه ، وإنما نقصده به اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام بحق ، وآمنوا بتوراته الصحيحة التى أنزلها الله إيماناً صحيحاً ، وأخذوا أنفسهم بأدابها وتعالييمها أخذاً صادقاً ، أما الذين ملأوا الأرض فساداً ، ومنهم الصهيو نيون ، والذين بلغ بهم الغرور أن يزعموا أنهم شعب الله المختار ، وأن الدنيا لهم والآخرة من حقهم وحدهم ، فهو لاء جميعاً ليس كلامنا فيهم ، ولا هم من الذين أمرنا الله أن نبرهم ونقسط إليهم .

تفسير آية :

« اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ، ولا متخذات أخدان . »

تفسير المنار :

بين الله لنا في هذه الآية ألا نعامل أهل الكتاب معاملة المشركين في ذلك (إذ كان المشركون يذبحون لغير الله تعالى بالإهلال به لأصنامهم أو وضعها على (النصب) فأحل لنا مؤاكتهم ونكاح نسائهم ثم قال : إن الله حصر التحريم في قوله (٦ - ١٤٥) قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً - الآية) وتحريم ما عداه يحتاج إلى نص . وروى ابن جرير عن أبي الدرداء وابن زيد أنهما سئلا عما ذبحوه للكنائس ؟ فأفتيا بأكله . قال ابن زيد : أحل الله طعامهم ولم يستثن منه شيئاً .

وأما أبو الدرداء فقد سئل عن كبش ذبح لكنيسة يقال لها - جرجس أهدوه لها : أتأكل منه ؟ فقال أبو الدرداء للسائل : اللهم عفوا ، إنما هم أهل كتاب طعامهم حل لنا ، وطعامنا حل لهم ، وأمره بأكله

وقد أجمع الصحابة والتابعون على هذا ، وأكل النبي من الشاة التي أهدتها إليه اليهودية ووضعت السم في ذراعها وكان الصحابة يأكلون من طعام النصراني في الشام بغير تكبير ولم ينقل عن أحد منهم خلاف (١) وقال ابن كثير في تفسيره (٢) : وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء : إن ذبائحهم حلال للمسلمين

(١) ص ١٧٧ - ١٧٩ ج ٦ تفسير المنار

(٢) ص ١٩ ج ٢

لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا
اسم الله ، وان أعتقدوا فيه تعالى ما هو منزله عنده تعالى وتقدس .

(والمحصنات من المؤمنات والمحصنات

من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

معناه أنهن حل لكم مطلقا ، لأنه معطوف على قوله « وطعام
الذين أوتوا الكتاب حل لكم » . قال ابن كثير : (١)

لما نزلت هذه الآية — نكح الناس نساء أهل الكتاب وقد
تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى (٢) ، فلم يروا في ذلك
بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة فجعلوها مخصصة للتي في سورة البقرة
(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) إن قيل بدخول الكتابيات
في عمومها ، وإلا فلا معارضة بينها وبينها ، لأن أهل الكتاب قد
انفصلوا عن المشركين في غير موضع « لم يكن الذين كفروا من أهل
الكتاب إلخ (٣) » و « قل للذين أوتوا الكتاب والأمةين - الآية » (٤) .

(١) ص ٢١ ج ٢

(٢) نكح طلحة بن عبد الله يهودية ، ونكح حذيفة بن اليمان
نصرانية فكتب إليه عمر : خل سبيلها ! فكتب إليه حذيفة : أتزعم أنها حرام
فأخل سبيلها ؟ فقال عمر : لا أزعم أنها حرام . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله
إن الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات ، ص ٢٥٧ ج ١ تفسير ابن كثير .

(٣) الآية الأولى من سورة البينة :

(٤) الآية ٢٠ من سورة آل عمران :

تحقيق لشيخ الإسلام ابن تيمية في معاملة أهل الكتاب

قال ابن تيمية في فتاويه :

ليس لأحد أن ينكر على أحد أكل من ذبيحة اليهود والنصارى
في هذا الزمان ، ولا يحرم ذبحهم للمسلمين ، ومن أنكر ذلك فهو
جاهل محض مخالف لإجماع المسلمين .

ومسائل الاجتهاد لا يسوغ فيها الإنكار إلا ببيان الحجة ،
وإيضاح المحجة ، لا الإنكار المجرد المستند إلى محض التقليد ،
فإن هذا فعل أهل الجاهل والأهواء . قال تعالى : —

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ،
والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم » فإن قيل — هذه الآية معارضة بقوله تعالى (ولا تتكحروا
المشركات حتى يؤمن) وبقوله (ولا تمسكوا بعصم الشكوافر)

الشرك المطلق في القرآن لا يدخل فيه أهل الكتاب

قيل إن الشرك المطلق في القرآن لا يدخل فيه أهل الكتاب
وإنما يدخلون في الشرك المقيد ، قال تعالى « لم يكن الذين كفروا
من أهل الكتاب والمشركين » فجعل المشركين قسماً غير أهل

— ٨٠ —

الكتاب — وقال « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، فجعلهم قسماً غيرهم .

فأما دخولهم في المقيد ففي قوله تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .

أصل الدين الذي أنزل الله به الكتاب ليس فيه شرك

وسبب هذا : أن أصل دينهم الذي أنزل الله به الكتاب ، وأرسل به الرسل ، ليس فيه شرك .

قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه : أنه لا آله إلا أنا فاعبدون — ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » ولكنهم بدلوا وغيروا فابتدعوا من الشرك ما لم ينزل به الله سلطاناً ، (١) فصار فيهم شرك باعتبار ما ابتدعوا لا باعتبار أصل الدين .

آية المائدة خاصة

وإذا قدر أن لفظ المشركات ، والكوافر ، يعم الكتابيات ، فآية المائدة خاصة ، وهي متأخرة ، نزلت بعد سورة البقرة والممتحنة ،

(١) وكذلك ابتدع المسلمون ما لا يتفق مع أصول الدين ، ولم ينزل به سلطان في الكتاب المبين ؛ وهذا معلوم بالضرورة للعلماء المحققين .

— ٨١ —

باتفاق العلماء ، كما في الحديث « المائدة من آخر القرآن نزولا ،
فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها ، والخاص المتأخر يقضى على
العام المتقدم باتفاق علماء المسلمين . . . وقد ثبت حل طعام أهل
الكتاب ، بالكتاب والسنة والإجماع ، والكلام في نسائهم
كالكلام في ذبائهم ، فإذا ثبت حل أحدهما ثبت حل الآخر ، وحل
أطعمتهم ليس له معارض أصلا ، ويدل على ذلك أن حذيفة بن
اليان تزوج يهودية ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، فدل على أنهم
كانوا مجتمعين على جواز ذلك (١) .

— ٣٦ —

الله رب العالمين

ومن هم الذين أنعم الله عليهم ؟

بعد أن بينا فيما سبق أن أهل الأديان جميعاً سواسية أمام الله ،
وأنه ليس لأحد منهم فضل على آخر إلا بالعمل الصالح — نسوق
كلمة جليلة من تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده لآية (صراط الذين
أنعمت عليهم) من سورة الفاتحة بعد تفسير أول هذه السورة
« الحمد لله رب العالمين »

(١) ص ١٥٤ ج ٢ فتاوى ابن تيمية

(م ٦ — دين الله واحد)

قال رحمه الله ورضي عنه (١) : « رب العالمين » :

« يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق ، ومعنى الرب : السيد الربى الذى يسوس مسوده ، ويربىه ويدبره ، ولفظ (العالمين) جمع عالم بفتح اللام - ^١جمع جمع المذكر العاقل تغليباً ، وأريد به جميع الكائنات الممكنة - أى أنه رب كل ما يدخل فى مفهوم لفظ العالم - وما جمعت العرب لفظ العالم هذا الجمع إلا لتكثيرة تلاحظها فيه - وهى أن هذا اللفظ لا يطلق عندهم على كل كائن وموجود كالحجر والتراب ، وإنما يطلقونه ، على كل جملة متميزة ، لأفرادها صفات تقربها من العاقل الذى جمعت جمعه إن لم تكن ، فيقال : عالم الإنسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات .

« ونحن نرى أن هذه الأشياء هى التى يظهر فيها معنى التربة التى يعطيها لفظ (رب) لأن فيها مبدأها ، وهو الحياة ، والتغذى ، والتولد - وهذا ظاهر فى الحيوان .

« ولقد كان السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله يقول : الحيوان

(١) ص ١٧ من تفسير سورة الفاتحة ، وقد افتتحت هذه السورة (سورة الفاتحة) بقوله « الحمد لله رب العالمين » لأنه سبحانه لم يكن رباً لطائفة من الناس دون أخرى ، فلم يكن رب اليهود وحدهم ، ولا رب النصارى فقط ، ولا رب المسلمين فحسب بل هو رب العالمين جميعاً .

شجرة قطعت رجلها من الأرض فهي تمشى ، والشجرة حيوان
ساخت رجلاه في الأرض فهو قائم في مكانه يأكل ويشرب ،
وإن كان لا ينام ولا يغفل .

صراط الذين أنعمت عليهم

وقال في تفسير « صراط الذين أنعمت عليهم » :
« لم يكن المسلمون في أول نزول الوحي بحيث يطلب الاهتداء
بهدهم ، وما هدهم إلا من الوحي ، ثم هم المأمورون أن يسألوا
الله أن يهديهم هذه السبيل ، سبيل من أنعم الله عليهم من قبلهم - فأولئك
غيرهم - وإنما المراد بهذا ما جاء في قوله تعالى « فبهدهم اقتده » (١) وقوله :
« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين » (٢) أي من الأمم السالفة - فقد أحال على معلوم أجمله في
الفاتحة وفصله في سائر القرآن بقدر الحاجة - فثلاثة أرباع القرآن
تقريباً قصص ، وتوجيه للأناظر إلى الاعتبار بأحوال الأمم في كفرهم ،
وإيمانهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شيء يهدي الإنسان كالمثلات
والوقائع - فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد ، ونظرنا في أحوال
الأمم السالفة ، وأسباب علمهم وجهلهم ، وقوتهم وضعفهم ، وعزهم
وذلهم - وغير ذلك مما يعرض للأمم - كان لهذا النظر أثر
في نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة والافتداء بأخبار تلك الأمم

(١) راجع صفحة ٥١ .

(٢) من الآية ٦٩ من سورة النساء .

فما كان سبب السعادة ، والتمسك في الأرض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة ، أو الهلاك والدمار . ومن هنا يتجلى للعاقل شأن علم التاريخ ، وما فيه من الفوائد والثمرات .

« ويرد ها هنا سؤال : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا ، وعندنا أحكام وإرشادات لم تسكن عندهم ، وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم ، وأصلح لزماننا وما بعده ؟ والقرآن يبين لنا الجواب عنه :

دين الله في جميع الأمم واحد .

« وهو أنه يصرح بأن (دين الله في جميع الأمم واحد) وإنما تختلف الأحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان ، وأما الأصول فلا خلاف فيها ، قال تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الآية » .

وقال تعالى « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » الآية ، فالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر ، وترك الشر ، وعمل البر والتخلق بالأخلاق الفاضلة - مستوفى للجميع .

« وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليه ، والاعتبار بما صاروا إليه ، لنقتدى بهم في القيام على أصول الخير - وهو أمر يتضمن الدليل على أن في ذلك الخير والسعادة على حسب طريقة القرآن في قرن الدليل بالمدلول ، والعلة بالمعلول ، والجمع بين السبب والمسبب » (١)

ولكى يتم القول فى هذا الأمر المهم، نورد تفسيراً لبعض آيات كريمة من قلم هذا الإمام الجليل .

« يريد الله ليعين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ^(١) »

قال رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية الكريمة (٢) :
معناه أنه يريد أيضاً - بما شرعه لكم من الأحكام الموافقة لمصالحكم ومنافعكم - أن يهديكم سنن الذين أنعم الله عليهم من قبلكم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، أى طرقهم فى العمل بمقتضى الفطرة السليمة وهداية الدين والشرعة ، كل بحسب حال الاجتماع فى زمانه - كما قال :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

وإنما كان دين جميع الأنبياء واحداً فى التوحيد وروح
العبادة و تزكية النفس بالأعمال التى تقوّم المملكات وتهذب الأخلاق .

ليسوا سواء

وقال رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى :

« ليسوا سواء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء

(١) سورة النساء ٢٦ - وص ٣٦ من تفسير القرآن الحكيم

الجزء الخامس .

(٢) ص ٦٤ - ٤٩ من نفس المصدر .

الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك
 من الصالحين ؛ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم
 بالمتقين » (١) .

هذه الآية من العدل الإلهي في بيان حقيقة الواقع ، وإزالة
 الإيهام، وهي دليل على أن دين الله واحد على السنة جميع الأنبياء ،
 وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص ؛ فأمر بالمعروف ،
 ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين .

« وما يفعلوا من خير فلن يكفروه »

وقال رضى الله عنه في تفسير هذه الآية :

أى فلن يضيع ثوابه ، كما يكفر الشيء ، أن يستتر حتى كأنه
 غير موجود ، وقال الزمخشري إن كفر عدى هنا إلى مفعولين
 لتضمنينه معنى الحرمان فالمعنى لن يحرموا جزاءه .

(والله أعلم بالمتقين) وإنما يحزى العاملين بحسب ما يعلم من
 أمرهم ، وما تنطوى عليه نفوسهم من نياتهم وسرائرهم ، فمن آمن

إيماناً صحيحاً، واتقى ما يفسد عليه ثمرات إيمانه، فأولئك هم الفائزون
فلا عبرة بجنسيات الأديان، وإنما العبرة بالتقوى مع الإيمان» (١)

«ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب»

وقال رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى :

«ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب — من يعمل سوءاً
يجز به ، ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً (٢) » .
ليس شرف الدين وفضله ، ولا نجاة أهله به ، أن يقول القائل
منهم : إن ديني أفضل وأكمل ، وأحق وأثبت ، وإنما عليه ، إذا
كان موقناً به ، أن يعمل بما يهديه إليه .

فإن الجزاء إنما يكون على العمل — لا على التمنى والغرور ،
فلا أمر بنجاتكم أيها المسلمون منوطاً بأمانيتكم فى دينكم ، ولا أمر
نجاة أهل الكتاب منوطاً بأمانيتهم فى دينهم ، فإن الأديان ما شرعت
للتفاخر والتباهى ؛ ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء إليها والتمدح
بها ؛ بلوك الألسنة ؛ والتشديق فى الكلام بل شرعت للعمل .

ثم قال : وإنما سرى هذا الغرور إلى أهل الأديان من اتكأهم

(١) ص ٧١ — ٧٤ ج ٤ من تفسير القرآن الحكيم الأستاذ الإمام .

(٢) سورة النساء : ١٢٣ وسبب نزول هذه الآية أنه اجتمع نفر
من المسلمين واليهود والنصارى وتكلم كل منهم فى تفضيل دينه فنزلت
هذه الآية .

على الشفاعات ، وزعمهم أن فضائلهم على غيرهم من البشر ؛ بمن بحث فيهم من الأنبياء لذاتهم ، فهم بكرامتهم يدخلون الجنة ، وينجون من العذاب ؛ لأبائهم ؛ فحذرنا الله أن نكون مثلهم .

«وكانت هذه الأمانى قد دبت إلى المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله تعالى في سورة الحديد : « ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ! ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، - الآية .

«فهذا خطاب للذين كانوا ضعفاء الإيمان من المسلمين في العصر الأول ، ولا مثالهم في كل زمان ؛ والله عليهم بما كانوا عليه حين أنزل هذه الموعدة ، وبما آل وما يؤول إليه أمرهم بعد ذلك .

« ولو تدبروا قوله لما كان لأمثال هذه الأمانى عليهم من سلطان ؛ فقد بين لهم طرق الغرور ؛ ومداخل الشيطان فيها ^(١) » .

لعل القراء يلاحظون أنى أكثر من النقل عن الاستاذ الإمام محمد عبده ، وأنا أجيب عن هذه الملاحظة بأن الذى سوغ لى هذا الصنيع هو أن هذا الإمام الجليل - بما أوتى من رسوخ فى العلم ، وثقوب فى الفهم ، ورجحان فى العقل - قد درس دين الإسلام وغيره من الأديان والعلوم دراسة عميقة لم يظفر بمثلها غيره من علماء المسلمين ، حتى أصبح إمام عصره غير مدافع .

وإذا كان قد وُصف بحق بأنه « يكاد يكتب الشريعة الإسلامية

(١) ص ٣٣ و ٣٣ ج ٥ من نفس المصدر .

— ٨٩ —

بقلم صاحبها، فإننا نقول إن هذا الإمام هو ولا ريب مجدد الدين في هذا العصر، ولم يكن تجديده مثل ما قام به المجددون قبله، بأن يعيدوا إلى الدين بهاءه، ويظهروه مما شابه فحسب، وإنما كان تجديداً تقتضيه الحياة في هذا العصر الذى فاق ما قبله من العصور بعلومه وحضارته ومشاكله، إذ يجب أن يكون الدين صالحاً لكل زمان ومكان، وإذا لم يكن كذلك فليس بدين حتى ينفع الناس.

ولو كان فينا اليوم عالم واحد يشبه هذا الإمام الجليل في علمه وخلقه، وبصيرته وعلو نفسه، ووجد بجانبه من رجال الدين غير المسلمين من يتعاون معه، ويضع يده في يده، لانجابت سحب الخلافات الدينية التى تراكت على مدى الدهور في سماء الحياة الاجتماعية، ولصفا الجو بين أهل الأديان جميعاً، حتى يكونوا كالأسرة الواحدة التى تعيش معتصمة بحبال المحبة والإخاء، متعاونة على ما فيه السعادة والهناء.

— ٣٧ —

اتحاد أهل الأديان الثلاثة

وإذ وصلنا إلى هنا من الكلام عن الأديان واتحادها في الأصول، وأنه يمكن اتفاق أهلها كذلك إذا خلصت النوايا ونظر إليها بعين العلم والإنصاف بعيدة عن التعصب والهوى، فإننا ننشر كلمات رائعات لعلماء كبار من علماء الأديان الثلاثة - اليهودية والنصرانية والإسلامية.

— ٩٠ —

— ١ —

كلمة الحاخام الأكبر

ونبدأ بكلمة حاخام اليهود الأكبر (رحمه الله) وهامى دى
بعنوانها كما نشرت بجريدة الأهرام فى يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٥٣ :
الحرية تؤدى إلى الإخاء والمساواة

تباين العقائد لا يحول دون الاتحاد بين القلوب (١)

ألقى سيادة الحاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية أمس ، فى
ميدان الجمهورية ، كلمة بمناسبة الاحتفال الوطنى الكبير الذى
أقامته الأمة بهذه المناسبة السعيدة الكريمة قال فيها :

أيها المواطنون الأعزاء ، سلام الله عليكم ، إن الله جل جلاله
وعظمت أعماله ، خالق السموات والأرض ، يشرف من عليائه على
هذا الكون الذى أبدعه بحكمته ، ونظمه بكلمته .

السمو رمز الخلق الكريم ، والسلوك القويم ، والخلق والسلوك
أساسهما الإيمان بالله والعمل بأوامره وتجنب نواهيه ، فإذا راعى
بنو الإنسان على اختلاف أديانهم وصايا الله ارتفعت أرواحهم
إلى أوج السماء مرودة ، فى صوت واحد ، المديح والتسبيح والتحدث
بنعمة الله العميمة ، وأفضاله السابغة العظيمة .

(١) إذا كانت هذه القلوب صافية ! ولكن هذه الكلمة القيمة التى
صرح بها الحاخام الأكبر لليهود لا تجد لها أثراً بين اليهود أنفسهم ، لأن
الكثرة الغالبة منهم لهم أعمال شيطانية هم لها عاملون .

والأرض التي نمشى في مناكبها هي منحة من الله لبنى الإنسان ،
من بها عليهم ليأكلوا من ثمارها اليانعة ، ويرتووا من أنهارها العذبة ،
وتسكتحل عيونهم بمناظرها الخلابة ، مما يزيدهم إيماناً ببارئ
الكائنات ، ومبدع المخلوقات .

إن تباين العقائد والأديان حكمة آلهية يصعب على المرء إدراك
كنهها ، وكشف سرها ، إبيد أن هذا التباين لا يحول دون اتحاد
القلوب وصفاء النفوس ، فمثله مثل الزهور المتنوعة الألوان ، التي
إذا جمعت في باقة متناسقة بهرت العيون ، وهزت أوتار الشعور .
ومن يمن الطالع وحسن القال أن نرى الأمة المصرية الكريمة
في ظل الجمهورية العظيمة متآررة متكاتفه كالبنيان المرصوص يشد
بعضه بعضاً ، مسترشدة بمبادئ الحرية والإخاء والمساواة ، فالحرية
هي حرية الرأي وحرية العقيدة ، وكلاهما يؤدي إلى الإخاء الخالص
لوجه الله ، وإلى المساواة بين الجميع ، بلا تمييز بين كبير وصغير ، أو غنى
وفقر ، أو عظيم وحقير ، والمساواة التي هي شعار العهد الجديد من
شأنها أن توحد الجهود ، وتنظم الصفوف ، توصلنا لأداء العمل الصالح ،
واتحاد عناصر الأمة شبيه بالفرقة الموسيقية المختلفة الآلات
والأصوات ، فإذا رفع رئيس الفرقة عصاه مشيراً إليها بالاستهلال ،
ترددت من تلك الآلات المتباينة أنغام متناسقة تشنف الأذان
وتأخذ بمجامع القلوب ، فقائد الفرقة هو رئيس جمهورية مصر
الخالدة ، وأفرادها هم المواطنون المصريون على اختلاف مذاهبهم
ومشاربهم وألوانهم .

فإذا شمل الاتحاد السماء والأرض، كان ذلك إيذاناً باتحاد جميع الشعوب، ونبذ المنازعات والحروب، وإحلال الوئام محل الخصام، والوفاق محل الشقاق، فيسلك العالم سبيل التقدم والرفق لخير الإنسانية قاطبة.

فسر على بركة الله يا حضرة الرئيس وفقك الله في إعلاء كلمة مصر، وتحقيق آماني شعبها التالذ في ظل النظام الجمهوري العتيد الخالد»

- ب -

جمعية التأليف والتقريب

كانت قد تألفت جمعية في بيروت بعد عودة الأستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس موضوعها: التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وإزالة الشقاق من بين أهلها، وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق. وقد ضمت بين أعضائها علماء كباراً من مسلمي الترك وإيران والهند وبعض كبار الإنجليز، وكان من أكبر أعضائها في لندن القس إسحاق طيلر. بل كان هو داعيها هنالك، وكان الأستاذ الإمام محمد عبده صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها.

ما قاله القس إسحاق طيلر في الإسلام والمسلمين

كان القس إسحاق طيلر ينشر مقالات في الصحف الإنجليزية عن الإسلام والمسلمين، بعد أن أطال الدرس في الدين الإسلامي واختبر أهله، ويطول بنا القول إذا عرضنا لكل ما كتب هذا القس

الفاضل (رحمه الله) ولكننا نشير إلى مقالتيين مما كتب نشرت إحداهما في جريدة «سنت جيمس غازت» الإنجليزية في ١٨ أبريل سنة ١٨٨٨ بعنوان (الإسلام والمسلمون) وقد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين — إذ كان قيل له إنه مبالغ في مدح دينهم قال فيها :

« إني ذهبت إلى مصر أحد أقطار الإسلام ، وقصدى الوحيد أن أطلع في ذلك المكان على الأعمال المجموعة في القرآن — من الآداب والأخلاق والتقوى والمعرفة ، وأعلم بقدر الإمكان ماهي العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية ، فما لقيت مانعا لمقصدي هذا .

أقول الحق : إن المسلمين تأثروا بما يهتمون به عناداً ، وأن أمرهم الظاهر قد شبه على النصارى ، فكيف نحكم نحن معشر النصارى عليهم بالكفر بعد أن نسمع قولهم لنا « آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »

إني أقر وأعترف بأنى تعجبت غاية العجب لما رأيت المسلمين راضين بأن يتكلموا معناعتهم موضوع عقائدهم ، وحاضرين للاعتراف بذنوبهم . قال لى أحد علماء الإسلام الذى هو عالم بكتبنا وبالقرآن ككثيرين من أمثاله : نحن لانرى من المعصية البحث فى الدين ، بل هو محبوب عندنا ، لأن الحق إنما يظهر به ، ويتبين الرشيد من الغي . تعالوا نبحث فى هذه المادة ، حتى تروا فى أى شيء نوافقكم ، وفى أى شيء نخالفكم ، عسى أن لا يكون إصلاح ذات البين أمراً صعباً .

— ٩٤ —

لا ريب أنه حدث عندنا ما كان يجب علينا تركه ، لأننا زدنا أشياء كثيرة على ديننا الطاهر الموجود في كتابنا الإلهي .

كذلك فعلتم أنتم من قبلنا ، حتى انقلبت الأمور عليكم من تهاوركم في حفظ الدين عن الشوائب . . .

إن رجعنا إلى خالص تعليم نبينا كما في كتاب الله ، ورجعتم إلى خالص تعليم عيسى عليه السلام وحوارييه ، كما في الإنجيل فلا نجد ما يفرق بيننا وبينكم .

مسيحييتكم السابقة ليست مردودة عندنا ، ولسكننا نعتقد أن تعليمات عصر عيسى عليه السلام والحواريين ، غشيتها الأباطيل منذ أيام قسطنطين الأول ، ورفض تلك الأباطيل واجب . سيأتي زمان تزك فيه هذه المفاسد كلها ويبقى على الأرض دين واحد خالص ، كل إنسان يقدر على قبوله . (١)

إني قبل ذلك كنت قد رأيت القبط في عبادتهم لمريم واعتكافهم على التماثيل - وهم الذين يتعلم منهم المسلمون المصريون عقائدهم المخصوصة المتعلقة بالمسيحية - ولذلك ظننت أن صديق كان مدركا لقضيته ، وحسب أن الإنجليزى المتهمين بالنسبة إلى المسلم العاقل

(١) تراجع كلمة السيد جمال الدين الأفغانى الجامعة في دين المستقبل ، في آخر هذه الرسالة .

مما يشابه للقبلى الجاهل . (١)

لا يدخل فى العقل أن نترقب أن المسلمين سيتزكون عقائدهم
و صور عبادتهم التى تربوا فيها ، بمحض أمرنا وإرادتنا ، ويقبلون
رسومات مرسلى النصرانى الضيقة ، الذين يجتهدون أن يردوهم
عن دينهم إلى إحدى العقائد المتناقضة الموجودة بين الرومانيين أو
البروتستانتين — المسلمون يسهل عليهم أن يقبلوا كتب العهد
الجديد أو الإنجيل ، ولكن لهم الحق كالبروتستانتين فى أن يفسروا
أو يأولوا تلك الكتب كما يشاؤون ، وهم يرفضون رفضاً تاماً كل
صور العقائد المخترعة كالبنود التسعة والثلاثين المتعلقة بالكنيسة
الإنكليزية ، واعتراف الوستمنستريّة (٢) أو القضاء المثلثة الأسنان
وأمثال ذلك — كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره فى
السماء والأرض — ورسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح
ومعجزاته ، ويؤمن بوجوب الصلاة ، وبقاء النفس فى الآخرة ،
إما فى الرحمة ، وإما فى العذاب ، وبإلهامية الكتب المنزلة من قبل .
أمة محمد متقية جداً وبعض أدعيتهم ، وصور مناجاتهم حسنة
للغاية ، حتى لا يمكن لأحد من المستحقين أن يجد فيها كلمة واحدة
يعترض عليها .

(١) كتبت هذه المقالة منذ نحو ثمانين سنة .

(٢) نسبة إلى البلاط الملكى الكبير بانجلترا

— ٩٦ —

وبعد أن ضرب المثل بسورة الفاتحة ودعاء القنوت ودعاء
مأثور عن داود يدعو المسلمين قال :

— لا يصعب أن يؤلف من صحف أدعية المسلمين كتاب
صلاة — إن لم يذكر مأخذها — يكون مقبولا في البلاد
المسيحية .

ثم قال :

مامن عقيدة من عقائد الإسلام إلا ونراها قد تمسك بها بعض
الذين يسمون عندنا المسيحيين ، وعدد من ذلك كثيراً ، ثم قال :
وما يمكن أن نرى أحداً من المسلمين قد تمسك بمفتريات
أو أباطيل كتلك الموجودة بين فلاحي جنوب إيطاليا .

ثم تكلم في المقارنة بين الإسلام وفرق أهل الكتاب في أمر
النساء وفي الحروب المقدسة استطراد فقال :

هناك تهمة أخرى ، وهي أن الإسلام غير متقدم ، لكن هذا
شيء يمكن القول به في حق كل الأديان الشرقية ، وهي مسألة
جنسية أو إقليمية لا دينية . وختم القسم هذه المقالة بهذه السطور :
إني أترك لمقاتلي الآتية بيان المذاكرة في موضوع دين المسيح
وذكر رغبة كثير من المسلمين في إصلاح الحال — حتى قال لي
أحدهم : لا يبعد أن يحصل بين المسيحيين والمسلمين مودة تامة
وتماس بأيدي الصداقة والأخوة وزوال أسباب الحرب إن شاء الله (١) .

(١) ص ٩٢٥ — ٩٣٢ ج ٤ المنار — ونحن نقول كذلك إن شاء الله

وهذه هي المقالة الثانية وعنوانها : (١)

القرآن والكتب المنزلة

إن المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته ، وهو عندهم
معدود في أولى العزم من رسل الله إلى خلقه ، فهم عندنا مسيحيون
فصلى لهم كل يوم أحد ، ونسأل الله أن يهديهم وإيانا إلى الحق
وطريق مستقيم .

ولا منافاة عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وأنه كلام الله وتنزِيل
من عنده ، وبين الاعتقاد بسائر الكتب السماوية ، وأنها بوحى من الله
وإلهام ، بل يعرف من صريح كلام المسلمين أن اعتقادهم بالكتب
السماوية إنما ساقه إلى قلوبهم الاعتقاد بالقرآن ، فهم في اعتقادهم
بها يمتثلون أمراً من أوامره ، ويجيبون داعياً من دواعيه ، وليس
في المسلمين من يدعى أن القرآن يكذب شيئاً من الكتب الإلهية ،
ولا في إمكان مسلم أن يدعى ذلك لما يشهد به القرآن ، من أنه مهيمن
على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم
فيه يختلفون ، مصدق لما معهم من الحق ، ولكنهم يقولون : إن
القرآن خاتمة الكتب ، كما أن من أنزل عليه (ص) خاتمة
الأنبياء ، ولا تجد مسلماً إلا يؤمن بالتوراة والإنجيل ، والزبور
والقرآن .

(١) نشرت في جريدة سنت جيمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

م ٧ — دين الله واحد

فكل صحيفة من السكتب الالهية ، ثبت مجيئها على لسان نبي صادق ، فهي عندهم كلام الله المنزه عن الخطأ والزلل ، وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق .

وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم فيما يعرف بالأحاديث شيئاً من أقوال المسيح ونهائحه وأحواله ، ويتلقونها بالقبول ، غير أن المعروف عندنا أن الأناجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم . فلا لوم على المسلم إذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل ، كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه من الأحاديث ، لأن عروض الشبهة في نقل من تتحقق عصمته أمر طبيعي عند عموم البشر .

قال لي أحد المسلمين : إن القرآن يشهد بأن الله آتى عيسى عليه السلام الإنجيل ، وجعل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ، وما نعرفه من السكتب الالهية نقبله ولا ننكر شيئاً منه ، وإن كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله ، كما اختلفت الأحزاب من بينكم .

وعندنا أن كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل ، كما تقولون في المسيح عليه السلام .

وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاء الله له ، كذلك لا يقدح إنكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته .

وبعد أن تكلم هما بهرّ العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها العجيب على ما تقتضيه طبيعة الإنسان الدينية ، من حيث طلبه للدين ، وتأثيرها الغريب في قلوب الآخذين بها ، وما إلى ذلك قال :

« وفي الحق أن لهم أن يسألونا : هل يمكن لأى مثل محمد ، أن يأتى بحقائق زكية نقية علمية ، وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن دون أن يكون ذلك بوحي من الله وإمداد منه ؟ »

أما ما يقال من أن القرآن لم تذكر فيه معجزة لمحمد سوى القرآن نفسه ، فيجيب عنه بأن هذا لا يقدر في رسالته ، بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه ، إذ لو كان ملبساً أو مفترى لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبهه على أصحابه ، ويحمل الناس على الإعجاب بغرائب ، وقد رأينا أن المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات ، والذي يظهر لنا أنه لو لا قساوة قلوبهم ، وعنادهم لما عول في دعواه عليها . على أن الأعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام ، أصبحت فى هذه الأيام مما يعد عقبة فى طريق الاعتقاد بدينه ، فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها .

فعدول محمد فى إثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه ، وصدق أنبائه ، والبراهين العقلية التى تحقق لإيها

البصائر السامية - كل ذلك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم
على صدقه ، ولا إشكال فيه ، بل هو عين ما يطلبه المسلمون ...
إلى أن قال :

بقي شيء يشتد الإنكار فيه منا على المسلمين ، وهو اعتقادهم
بجنة جسمانية ، فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين !
على أنى أقول : وما إنكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد
الأناشيد المنسوب إلى سليمان بن داود عبارات إن حملت على
ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية وعالم المسادة من كل ما ينسب
إلى القرآن !!

ثم إننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا
المعدودة عندنا خاتمة الأناجيل ، فإنه يذكر وصف أورشليم
الجديدة وهي الجنة ومساحتها الدقيقة وحدودها ، وما فيها
من أبواب من لؤلؤ ، وأزقة من ذهب ، وجدران من جوهر ،
ويفيض فيما رواه من ذلك مما لم يأت القرآن بمثله .

وإن لنا عبارة تألفها نفوسنا ، ونترنم بها في عبادتنا مع
الافتخار ، إذ نقول : (أورشليم المذهبة المباركة ، بالابن والعسل) .

وليس يخطئ قائل لنا : إن نغيات المظفرين ، وأغاني المختلفين
التي نجدها في مكاشفات يوحنا ، تذكرنا بأن غاية المسيحي من إيمانه
وأمله المطلوب من عبادته ، أن يصل إلى جنة ، نعيمه فيها أن يأكل
ويشرب ويسكر ويغنى ؛ كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام

الأعياد المشهورة ، على أننا نؤول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ،
ونحمل كل لفظ وجد لمعنى محسوس ، على سر معقول .

وإن العارفين من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً ،
يتعالى إلى غير النهاية عن النعيم الجسداني ، ولسنا نكابر كما يكابر
القسيس (مسكول) ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراه
إلا الأكل والشرب ، وقضاء شهوات أخرى . وقد ذكر القرآن
في سورة القيامة : من جزاء المؤمنين أن تكون وجوههم
يوم القيامة ناضرة إلى ربها . ومن الأحاديث النبوية ، ما معناه
أن أعظم فوز يفوز به العبد في الآخرة هو لقاء ربه في الغدو
والأصال .

ومن حديث آخر ما يشبه المعروف عندنا « إن الله قد أعد
للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب
بشر » (١) .

وإن في عقائد الحمديين : أن رضوان الله أكبر من كل نعيم .
فإن وافقنا المسلم على أن جنة جسدانية لا تليق أن تكون جزاء
المؤمن في الآخرة ، أفلا يجوز له أن يؤول ما ورد في كتابه
من ذلك ، كما أولنا عبارات الذبيد وعبارات الكاشفات ، والتأويل
عليه أسهل منه علينا ، فإن عنده في كتابه ما يشير إلى أن

(١) وجاءت الآية « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء
بما كانوا يعملون » السجدة ١٧ .

— ١٠٢ —

بعض ما قص الله عليهم من المتشابه لا يؤخذ على ظاهره ، وله في السنة ما معناه : ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء (١) ، أما نحن فلم يذكر لنا في المكاشفات ما يسوغ التأويل ، ويشير إلى أن ما جاء فيها من الأوصاف إنما هو ضرب من التمثيل ، لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه من الأقوال حق لا ريب فيه كما هو المذكور .

فللمحمديين حق إذا طلبوا الجنة الروحانية والذائد السامية العقلية ، وهم مؤمنون بكتابهم ، ويرون أن هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم ، وإني أحسب من الظلم الفاحش ، أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه في إيضاح غوامض كتابنا المقدس ، (٢) .

تعليق على ما كتب هذا القس الفاضل

بما يسرني جد السرور أن أجد عالماً دينياً مستنيراً يتسكلم في أصول الأديان بروح الإنصاف ، ويبحث في أغراضها بعلم وعقل ، غير متأثر بعاطفة أو تعصب ، أو هوى ، سواء أكان هذا العالم مسلماً أم غير مسلم .

ومن أجل ذلك كان سروري عظيماً عندما وقفت على هاتين

(١) هذا حديث مروي عن ابن عباس .

(٢) ص ٥٩ — ٦٤ ج ٥ المنار .

المقالتين اللتين نشرهما القس الإنجليزي الفاضل إسحاق طيلر (رحمه الله) في الصحف الإنجليزية في سنة ١٨٨٨ ، إحداهما بعنوان (الإسلام والمسلمون) والثانية بعنوان (القرآن والكتب المنزلة) فقد وجدت فيهما عقلا وعلما ، وإنصافا وفهما .

وتضاعف سرورى عندما ألفت العالم الإسلامى الذى كان يباحث هذا القس واسع الاطلاع على أصول الأديان ، وبخاصة دين الإسلام ، ويبدو أنه الأستاذ الإمام محمد عبده ، لأن ما صدر عنه من إجابات حكيمة سديدة ، وبخاصة فى ذلك التاريخ البعيد ، (سنة ١٨٨٨) ما لا يكاد يعرفه غير الأستاذ الإمام محمد عبده وأستاذه السيد جمال الدين الأفغانى (رحمهما الله)

ولنفاسة هاتين المقالتين آثرت ضمهما إلى هذه الرسالة ليأخذنا مكانهما بين صفحاتها ، وهى أولى بهما من غيرها .
ومن حسن التوفيق أن تضم رسالتى هذه آراء قطبين عظيمين من كبار أقطاب المسلمين والنصارى ، عملا جهدهما على التآليف والتقريب بين الأديان .

جمعية التأليف والتقريب

أما جمعية التأليف والتقريب التى أسسها هذان العالمان العظيمان منذ ثمانين سنة ، واشترك فيها أحرار أبرار من جميع الأجناس البشرية ، فقد كانت من أجل الأعمال التى تحتاج إليها الإنسانية على مدى التاريخ كله .

— ١٠٤ —

وما أحرانا أن نقف في أثرهم، ونبعث أغراض هذه الجمعية من مرقدتها
ونؤلف - في هذا العصر - مثلها، لتنهج نهجها وتصل إلى أغراضها .
وإني لأرفع صوتي بالدعوة إلى تأليف جمعية تربط بين أصحاب
الفكر والعقل من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً، وتعمل على تأليف
القلوب بين أهل الأديان ، وشفاء النفوس بين جميع بني الإنسان !
وإن خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان
الأخرى، هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التي وضعها العلامة
الكبير السيد محمد رشيد رضا (رحمه الله) للاتفاق بين المختلفين
في المذاهب والأجناس ، من المسلمين ، والمختلفين في الأديان
والأجناس الأخرى وهي :

قال رحمه الله :

(نتعاون على ما نشترك فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف عليه) .
هذا ما أدعو إليه وأجهر به للناس كافة - على بصيرة - وقد
بلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد . والفضل لمن يسبق فيحمل العلم .

— ٢٨ —

الأديان الثلاثة متفقة في المبدأ والغاية

وهذه كلمة حكيمة لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغاني :
قال رحمه الله : الناس تجاه الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية ،
والمحمدية وكتبها لابد أن يكونوا أحد رجلين :
إما رجل يعتقد أن رجال الأديان الثلاثة قد أرسلهم الله ،

وأوحى إليهم بالتوراة والإنجيل والقرآن ، والقصد من إرسالهم ،
إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وهدايتهم للصراط المستقيم في الأمور
التعبدية ، وبيان الحلال والحرام وصون مصالح العباد ،
بما شرعه لهم من الشريعة وإلزامهم العمل بها .

ويوضح بالإجمال : مشيئة الله بما يريد من خلقه ، وما يريد أن
تكون خليقته عليه ، وعلى هذا لا يمكن أن يكون قصد الله

إلا واحداً ، ومشيئته إلا واحدة ، وكتب الوحي ، وما أنزله على
الرسول لا بد أن تكون متفقة في المقصد والغاية ، ولا يصح
التباين في جوهرها ، ولا أن يخالف بعضها بعضاً .

فلننظر إلى الأمر الرئيسي الذي جاء في التوراة (١) - في أمر
العبادة - وما أراده الله من عباده هناك - فنرى أن الله قد نادى موسى
من جانب الطور وكله قائلاً : إني أنا الله ، لا رب سواي ، فاعبدني ،
أنت وبنو إسرائيل .

ومختصر ما ورد فيها : أن طاعة الله وعبادته ، والعمل بما يبلغه
الرسول ، كل ذلك له في الآخرة ثواب وسعادة سرمديّة ، فضلاً
عن عاجلة الدنيا

والإنسان بدافع الحب الذاتي لا يريد ولا يحب أن يعتقد
أنه سيذهب سدى بعد الموت ، لأن الاعتقاد في ذلك مزعج

(١) نقلنا في كتابنا هذا صفوة ما في العهد القديم والعهد الجديد والقرآن
بما جاء في أصل دعوة الرسل جميعاً .

للنفس ، موثس للروح ، فهو يرجو بعد الفناء الظاهري أن يبعث ويكون له معاد ، وأن يحيا حياة أبدية .

ثم ننظر ما جاء في الإنجيل ، وما قاله المسيح فنرى أنه قال ما معناه ، « أعطيتني سلطانا على كل جسد لأعطي حياة أبدية لكل من أعطيته ، وهذه الحياة الأبدية ، أن يعرفوا أنك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع هو المسيح الذي أرسلته » . (١) فالعيسوية هي (ناموس) جاء متممًا لما قبله من التوراة ، كما قال المسيح : جئت لأتمم الناموس لا لأنقضه إلخ . ثم إذا نظرنا إلى المحمدية نرى القرآن مشحونًا بتوحيد الله ولزوم طاعته وعبادته بقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » « قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا » « والحمد لله رب العالمين » و « إياك نعبد وإياك نستعين » .

هكذا نرى الأديان الثلاثة متفقة في الأمور التعبدية ، بلا أدنى تباين أو تخالف .

ثم ننظر في المعاملات وما أجاز منها ، في تلك الأديان ، وما نهى عنه فيها ، فنرى أن ما جاء به موسى ، أو ما أمره الله به من الوصايا قد عمل بها المسيح عليه السلام ولم ينقض ، أو ينقص منها شيئًا ، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم فإنه جاء مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

قلنا إن الناس تجاه الأديان الثلاثة وكتبها أحد رجلين :

(١) ٢ و ٣ / ١٧ / إنجيل يوحنا .

— ١٠٧ —

رجل يعتقد بالوحي ويؤمن بالأنبياء والرسل ؛ ورجل يحدد الوحي ولا يؤمن بالأنبياء ، ولا يارسالهم من عند الله .

أما الرجل المؤمن فقد بحث ودقق وطبق كتب الأديان الثلاثة بعضها على بعض كما مر ، فلم يجد فيها أقل تباين ، بل وجدها متفقة في المقصد والغاية .

وأما الرجل الكافر ، ومنكر الوحي فيقول : إن السكون مع حوادثه من حيث حقيقتيهما ليس فيهما شيء جديد وما نراه جديداً ، إنما هو في شكل الإبراز ، وصورة الإلقاء والتلقى ، فيأتي في قرن من القرون أو لو بصيرة ولب ودهاء فيعلمون تعليماً بشكل خاص ، وصور معلومة عندهم تأخذ من نفوس الخلق كل مأخذ ، ويتعبد بها إذا وضعت في شكل تعبدى ، أو يعمل بها إذا أفرغت في قالب تعليمى . فالتعليم بتوحيد الله وتقديسه معروف عند قدماء المصريين قبل موسى بأجيال ، والتثليث من تعاليم الوثنيين . وقد قال به فيثاغورث الفيلسوف اليونانى قبل المسيح بخمسمائة عام . وان موسى وعيسى ومحمد ، هم رجال عقلاء حكماء امتازوا عن وسطهم ، وجمعوا من معتقدات الأقدمين قواعد وأقوالاً وضعوها في كتب لا يعقل أن تكون من إله السماء !!

ويقول ذلك المنكر إننا لو سلمنا أن في كتب الأديان شيئاً من النفع فهو لا يوازى مضار ما نراه بين أهل الدين أنفسهم

— ١٠٨ —

والأديان من الاختلاف ، والتنافر ، والمشاحنة ، والبغضاء ، ولو كانت من الإله حقيقة لجعلهم يتفقون عليها ولا يختلفون ، ثم يستحيل أن يكون فيها ما يرى من الخرافات إلخ .

قال جمال الدين : هذا غاية ما عند الجاحد المنكر من القول والحجاج .

والمطلوب منه في موضوعنا هنا ، ليس الإيمان بالوسمى ، وبالأنبياء ، بل ما إذا كانت كتب الأديان الثلاثة متفقة في التعاليم الجوهرية وفي المقصد والغاية - أم لا ؟

أما اتفاقها وعدم تخالفها ، فقد ثبت ، ولا يستطع أحد جحوده وإنكاره ، وأما ما يراه المنكر ونراه نحن أيضاً من اختلاف أهل الأديان ، فليس هو من تعاليمها ، ولا أثر له في كتبها وإنما هو صنع بعض رؤساء هذه الأديان الذين يتجرون بالدين ، ويشترون بآياته ثمناً قليلاً ، ألا ساء ما يفعلون !

رؤساء الأديان - ما أنفعهم إذا صالحوا ، وما أضرهم إذا فسدوا ، فالأديان في أصلها وجوهرها ، وازع عظيم ، ودواء نافع مفيد لكثير من أمراض البشر . هذا إذا أحسن الأطباء (وهم هنا رؤساء الأديان) عدم خلط ذلك الدواء بالضرار من الأجزاء ، وراعوا قابلية العقول قبل الأجسام ، وأعطوا منه بقدر معلوم ، قولاً مفهوماً ، وبياناً معقولاً .

مغزى أقوال السيد المسيح

سأله سائل، قال: إن النصرانية لا تعلم التوحيد، بل أساسها قائم على التثليث والإنجيل طافح بمثل أقوال المسيح « أنا في الآب والآب في » ومثل قوله « أيها الآب: مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً ».

فقال جمال الدين: إن المسيح (ص ع) وضع أساس تعليمه والغاية من مجيئه، أن يكمل الناموس لا أن ينقضه، وناموس موسى بنى على التوحيد، فلا يصح نقض ذلك الأساس. وإن وردت بعض الأقوال التي يخالف ظاهرها ذلك الأساس وجب الرجوع إلى التأويل - كما قدمنا - وألا يرمى أى دين بالضعف والوهن.

وأما أمثال قول المسيح « أنا في الآب والآب في » فقد ورد عنه « أبى وأبيكم » « وكلهم أبناء الله يدعون ». وفى التوراة جاء ذكر « إسرائيل ابنى البكر » وهذه الأقوال كلها تصوف محض.

ووردت فى كلام أهل التصوف من المسلمين أقوال مغلفة مثل قول الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، والخوَّاص، والجنيد والحلاج، والجيلي، وابن مشيش، والسهروردي، والبكري وغيرهم، وإليك أمثلة منها:

يقول الشيخ الأكبر فى بعض صلواته:

« اللهم يا من ليس حجابك إلا النور، ولا خفاؤه إلا شدة

الظهور، أسألك به في مرتبة إطلاقك عن كل تقييد ، التي تفعل فيها
ما تشاء وتريد ، وبكشفك عن ذاتك بالعلم النورى ، وتحولك في
صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصورى .

وقول السيد البكرى : « نعم العبد الذى به كمال السكال ، وعابد
الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ، ولا اتصال ولا انفصال » .
قال جمال الدين : ترون من هذه الكلمات المتناقضة ظاهراً
- إنما أراد نفي الحلول الذاتى - فأتى لذلك بنفي الحلول أولاً
وإلا فكيف يعقل ، لو بقينا على مفهوم الظاهر فى معنى الكلمات ،
أن المتصل فى الوقت ذاته يكون منفصلاً !

فمعانى التصوف - وإن كانت مغلقة فى الغالب - لا يفهمها
إلا أصحاب الذوق والمواجد ، ويعسر على غيرهم تناول فهمها ،
فلا بأس من التقريب فى التأويل ، لينتفى غير المعقول .

خير مثال

وخير مثال يُضرب للعقل المفهوم فى مثل هذه الحال والأقوال ،
« المرأة » التى تمثل الشيء تماماً ، فيفتح بهذا المثل بعض مغلقات
ما ذكر من كلام المتصوفة : فإذا قابلت المرأة الشمس ، رأيتها فى
المرأة . ولا يعترى الإنسان أدنى شبهة أنها « الشمس » على غير
طريقة الحلول فى المرأة ، ولا على صورة الاتحاد ، أو الاتصال ،
أو الانفصال .

وحقيقة ذلك المرئي من الشمس إنما تجلى في المرآة
 (لشفافيتها) وبتلك الشفافية حصل ذاك الانطباع على تلك الصورة
 على غير حلول ولا ولا إلخ ، ثم قال : وإذا علمنا أن تجلى الشمس
 في المرآة حصل لشفافيتها، هكذا تجلى الذات في خلقة عندما تتلطف
 الكثافة الترابية والجسمانية ، وتشف الروح وتتمكن من اتصالها
 بعالمها أن ترى من الذوق في الشهود مالا يسعه إلا التعبير
 بالمتناقضات ظاهرا - كما تقدم - وليس ثمة تناقض . وكلام
 المسيح (ص . ع) إن هو إلا غاية في التصوف ، ولا يصح
 حمله أو فهمه على صورته الظاهرية ، وإلا لانتقض أساس الناموس
 الموسوى الذى إنما أتى ليتممه ، فلا يصح أن تنزل التوراة
 على موسى من عند الله (بالتوحيد) وينزل الإنجيل من عند الله
 على عيسى (بالتثليث) .

وصريح أقوال المسيح فى جوهر الاعتقاد أكبر دليل
 على صحة ما نقول : من أن الأديان الثلاثة متفقة فى المقصد
 والغاية (١) .

وبعد أن فرغنا من الكلام عن دين الله الذى جاء على السنة
 جميع الرسل، وأثبتنا أن دين الله واحد فى كل زمان وبمرايين لا تدع
 للشك سبيلا ، نجد من الخير أن نحلى رسالتنا بآيات بينات من

— ١١٢ —

الكتيب المقدسة للأديان الثلاثة المشهورة التي يدين بها أغلب سكان العالم اليوم وهي :

دين موسى، ودين عيسى، ودين محمد ، صلوات الله عليهم جميعاً .
ونبدأ بآيات من العهد القديم أوردها المسيح صلوات الله عليه
ورسله في العهد الجديد ، ونقف عليها بالموعظة الجليلة التي ألقاها
السيد المسيح عليه السلام على الجبل ، ثم نتم رسالتنا بآيات من
القرآن الكريم تتصل بموضوع الرسالة ، ونختتمها بآيات أخرى
من آداب ووصايا ومواظب القرآن ، وبذلك ننتهي إلى الغاية التي
نريدها بعون الله وتوفيقه .

— ١ —

آيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله
في العهد الجديد

لكي نتم القول في دعوة السيد المسيح عليه السلام نأتي بآيات
من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله في العهد الجديد :

من سفر التكوين

الفصل العدد

- | | | |
|----|---|--|
| ١٥ | ٦ | آمن إبراهيم بالله فحسب له بذلك برا - رومية ٤ : ٣ |
| | | غلاطية ٣ : ٦ - يعقوب ٢ : ٢٣ . |
| ١٧ | ٤ | إني جعلتك أباً للأمم كثيرة - رومية ٤ : ١٧ |

من سفر الخروج

الفصل	العدد
٣	٦ أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب - متى ٢٢: ٣٢ مرقص ١٢: ٢٦ لوقا ٢٠: ٣٧ .

من سفر تثنية الاشتراع

٦	٤ اسمع يا إسرائيل : إن الرب إلهنا رب واحد . مرقص ١٢: ٢٩
٥	أحبب الرب إلهنا بكل قلبك ، وكل نفسك ، وكل قوتك - متى ٢٢: ٣٧ مرقص ١٢: ٣٠ لوقا ١٠: ٢٧
١٣ و ٢٠	لرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد - متى ٤: ١٠ لوقا ٤: ٨
١٦	لا تجرب الرب إلهك - متى ٤: ٧ لوقا ٤: ١٢
٨	٣ ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان متى ٤: ٤ لوقا ٤: ٤

من سفر المزامير

١٧	٣ سأكون متوكلا عليه - عبرانيين ٢: ١٣
٤٤	٧ إن عرشك يا الله إلى دهر الدهور - عبرانيين ١: ٨
١١٦	١ سببحوا الرب يا جميع الأمم - رومية ١٥: ١١
١١٧	٧ الرب عوني ، فلا أخشى ما ذا يصنع بي الإنسان . عبرانيين ١٣: ٦

من سفر أشعيا

الفصل العدد

٦	٣	قدّوس، قدّوس، قدّوس، الرب الإله القدير - رؤيا ٤: ٨
٦٤	٤	ما لم تره عين ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعدّه الله للذين يحبونه (١) - ١ كورنتس ٢: ٩

من موعظة السيد المسيح التي ألقاها على الجبل

لما رأى السيد المسيح الجموع صعد إلى الجبل وقال :
 طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى
 للودعاء فإنهم يرثون الأرض ، طوبى للحزان (٢) فإنهم يعزون ،
 طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون ، طوبى للرحماء
 لأنهم يرحمهم ، طوبى للأتقياء القلوب لأنهم يعاينون الله ،
 طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون ، طوبى للبطرودين
 هن أجل البر ، لأن لهم ملكوت السموات . .

أنتم ملح الأرض ، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح
 بعد شيء ، إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس ، انتم نور
 العالم ، لا يمكن أن تخفي مدينة مبنية على جبل ، ولا يوقد سراج

(١) جاء هذا الكلام بنصه في حديث لمحمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) في رواية الحزاني .

ويوضع تحت المسكيات ، لكن على المنارة لينير على كل من في البيت ، فيضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة ، لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ، فإنني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل ، فمن أنقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، ويعلم الناس هكذا فإنه يدعى صغيرا في ملكوت السموات ، وأما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات .

قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . . . وسمعتم أنه قيل للأولين : لا تزني ، أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر إلى امرأة يشتمها فقد زنى بها قلبه ، فإن شكتك عينك اليمنى فاقطعها (١) ، وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم . وقيل إن من يطلق امرأته إلا لعل الزنى يجعلها زنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى .

قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تحنث بل أوف للرب بأقسامك وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة ، لا بالسماء ، فإنها عرش الله ولا بالأرض ، لأنها موطن قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة

(١) في رواية : فإن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها .

الملك العظيم (١) ...

سمعتهم أنه قيل : عين ، بعين ، وسن بسن . أما أنا فأقول لكم :
لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر
أيضاً ومن أراد أن يخاصمك وأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً .
ومن سخرك ميلاً واحداً ، فاذهب معه اثنين ، من سألک فاعطه
ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

... أقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيك ،
وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي
في السموات ، فإنه تشرق شمسك على الأشرار والصالحين ، ويمطر على
الآبرار والظالمين ، لأنكم إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ،
أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟ ... فكونوا أنتم كاملين
كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل .

أحترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم ،
وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات ... ومتى صنعت
صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكي تكون صدقتك
في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء هو الذي يجازيك علانية .
متى صليت ، فلا تسكن كالمرائين ، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين
في المجمع ... لكي يظهروا للناس ، الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا

(١) وفي رواية : لأنها مدينة الملك العظيم .

أجرهم ، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك ، وأغلق بابك ،
وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى فى الخفاء يحازيك
علانية ، لا تكررُوا الكلام باطلاً ، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه
قبل أن تسألوا ، فصاوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات
ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء
كذلك فى الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا
كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن
نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين . (١)

فإنه إن غفرت للناس ذلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوك السماوى ،
وإن لم تغفروا للناس ذلاتهم لا يغفر لكم أبوك أيضاً ذلاتكم .

ومتى صتمت فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، لكي تظهروا
للناس صائمين ، الحق أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجرهم .

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ، بل اكنزوا لكم
كنوزاً فى السماء .

سراج الجسد العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون
نيراً ، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله مظالم ، لا يقدر أحد
أن يخدم سيدين ، لا تقدرُوا أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول
لكم : لا تهتموا لحياةكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم

(١) هذه الصلاة عند المسيحيين تقابل سورة الفاتحة عند المسلمين .

بما تلبسون ، انظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، الستم أتم بالحرى أفضل منها . . . اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزداد لكم ، فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه . . . يكفى اليوم شره .

لا تدينوا لى لا تدينوا . . . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم — ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ! لا تعطوا القدس للكلاب ؛ ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتتمزقكم .

اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم . . .

كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا هكذا أتم أيضا بهم ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء .

احترزوا من الأنبياء الكذبة . من ثمارهم تعرفونهم ، هل تحتنون من الشوك عنباً ، أو من الحسك تيناً ، هكذا كل شجرة جيدة ، تصنع ثماراً جيدة ، وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة . .

كل شجرة لا تصنع ثمرة جيدة تقطع ، وتلقى فى النار ، فإذا من ثمارهم تعرفونهم . إلى هنا ينتهى ما نقلناه من موعظة الجبل ، وهى طويلة تجدها فى الفصل الخامس من إنجيل متى ، ثم نأخذ فيما نقلناه من آيات القرآن الكريم .

(ب)

آيات من القرآن الكريم

دعوة الرسل

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ، أن أعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت . النحل : ٣٦
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه
لا إله إلا أنا فاعبدون . الانبياء : ٢٥

لكل أمة رسول

ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط ، وهم
لا يظلمون . يونس : ٤٧
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير . فاطر : ٢٤

لا حساب إلا بعد البلاغ

من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ،
ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذيين حتى نبعث
رسولا . الإسراء : ١٥
رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل . النساء : ١٦٥

رسل الله لا يعلمهم أحد

وكم أرسلنا من نبي في الأولين . الزخرف : ٦

— ١٢٠ —

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك . غافر : ٧٨

ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين
من بعدهم ، لا يعلمهم إلا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات . إبراهيم : ٩

الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل

وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ، لا تعبدون إلا الله ،
وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا
للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ثم توليتهم إلا
قليلا منكم ، وأنتم معرضون . البقرة : ٨٣

محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل

قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ،
أن أتبع إلا ما يوحى إلى ، وما أنا إلا نذير مبين . الأحقاف : ٩
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا
إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب
ويونس وهارون وسليمان ، وآتيناهم ما شئنا . النساء : ١٦٣

ما عليه إلا البلاغ ، وما هو على الناس بوكيل ولا حفيظ

ما على الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما
تكتُمون المائدة : ٩٩

— ١٢١ —

وكذب به قومك ، وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل
الأنعام : ٦٦

فإن أعرضوا ، فما أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا
البلاغ . الشورى : ٤٨

ولو شاء الله ما أشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظاً ، وما
أنت عليهم بوكيل . الأنعام : ١٠٧

فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر .
الغاشية : ٢١ ، ٢٢

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

والجدال بالتي هي أحسن

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم
بالتى هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم
بالمهتدين . النحل : ١٢٥

لا إكراه فى الدين

لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي . البقرة : ٢٥٦
ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء البقرة : ٢٧٢
وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .
الكهف : ٢٩

ليس للنبي من الأمر شيء

« ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم .
آل عمران : ١٢٨

القرآن في الكتب السابقة

إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى .
الأعلى : ١٨ ، ١٩

« أم لم ينبأ بما في صحف موسى ، وإبراهيم الذي وفى » ، ألا تزر
وأزرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف
يرى ، ثم يحجزه الجزاء الأولي .
النجم : ٣٦ : ٤١

من آداب ووصايا القرآن

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى ؛ يعظكم لعلكم تذكرون .
النحل : ٩٠

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ؛ ولكن
البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والأنبياء ،
وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب ؛ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم
إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .
البقرة : ١٧٧

« يا بنى آدم : إنما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ؛

— ١٢٣ —

فمن اتقى وأصلح، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الأعراف : ٣٥
خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

الأعراف : ١٩٩

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (أى دولتكم) .

الأنفال : ٤٦

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم الرعد : ١١

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض . الأنفال : ٧٥

فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم (١) . التوبة : ٧

وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله الأنفال : ٦١

إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور

رحيم . يوسف : ٥٣

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث

في الأرض . الرعد : ١٧

يأبها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً . البقرة : ١٦٨

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟

قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل

الآيات لقوم يعلمون . الأعراف : ٣٢

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ،

وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن

الله لا يحب المفسدين . القصص : ٧٧

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . البقرة : ١٨٨

(١) أى هل الأديان الأخرى وغيرهم .

— ١٢٤ —

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله » . البقرة : ١٩٧
 فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى النجم : ٣٢
 ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ،
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . آل عمران : ١٠٤
 ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم إن
 اتقوا الله . النساء : ١٣١
 وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
 واتقوا الله . المائدة : ٢
 واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت
 وهم لا يظلمون . البقرة : ٢٨١
 فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الاعراف : ٣٥
 واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها
 عدل ولا تنفعها شفاعة ، ولا هم ينصرون . البقرة : ١٢٣
 قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ،
 فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلمكم تفلحون الأئمة : ١٠٠
 ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي
 الصالحون (١) . الأنبياء : ١٠٥
 إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وأن أسأتم فلهما الأسراء : ٧
 فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث
 في الأرض . الرعد : ١٧

(١) أى الصالحون لعمارتها كما فسرهما الأستاذ الإمام محمد عبده
 وهو التفسير الحق .

— ١٢٥ —

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم الحجرات : ١٣
ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصروه .
الحج : ٤٠

ونختم هذه الآداب والوصايا الإلهية بهذه الآيات الكريمة
ونستنتي بذلك لأن المقام لا يتسع لأكثر منه .

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ، إما
يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا
تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، ربكم أعلم بما في نفوسكم ، إن
تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربى حقه
والمسكين ، وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا
إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم
ابتناء رحمة من ربك ترجوها ، فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل
يدك مغولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا ،
إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباد خبيرا
بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن

— ١٢٦ —

قتلهم كان خطأ كبيرا ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة
وساء سييلا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان
منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ
أشده ، وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا السكيل
إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا ،
ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش في الأرض مريحا ، إنك إن
تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند
ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل
مع الله إلها آخر فتلقى في جحيم ملوما مدحورا . الإسراء : ٢٣ - ٣٩

— ٢٩ —

دين المستقبل

وفي تمام رسالتنا يطيب لنا أن نأتي برأي حكيم ، لفيلسوف الإسلام
السيد جمال الدين الأفغاني ، أوحى به إليه بصيرة نافذة تستشف
ما خفي وراء الأستار ، وتنظر إلى بواطن الأمور فتكتنه ما فيها
من الأسرار .

وهذا الرأي قد أجاب به عن سؤال من المرحوم السيد توفيق
البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

قال السيد محمد توفيق :

قلت مرة للسيد جمال الدين الأفغانى : ما هو دين المستقبل ؟
قال : (١)

هذه الآية من كتاب الله :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ،
من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند
ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون »
وقال السيد رشيد رضا رحمه الله (٢)

سمعنا هذه المسألة من البكرى ، وقال أمامنا ، إن السيد قال له :
انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة إلى أن يجيء المستقبل
يفسرها .

هذا هو رأى السيد جمال الدين فى دين المستقبل ، وكأن
فيلسوفنا العظيم قد رأى بعين بصيرته : أن الناس سيصلون
إن شاء الله بعالمهم وعقلولهم إلى مرتقى نزول فيه الجنسيات
الدينية ، وتختفى العصبية المذهبية ، ويجتمعون على دين واحد
يشمل الناس جميعاً ، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد :

(١) ص ٦١٠ ج ٥ المنار

(٢) ص ٩٣ ج ١٢ المنار .

— ١٢٨ —

(١) إيمان بالله (٢) عمل صالح في الحياة (٣) إيمان باليوم الآخر . . . أما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض إلى ربهم ، وبذلك يعيشون في الحياة تحت ظل من السعادة ظليل ، متحايين ، متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل .

وما يوجد بينهم من خلاف وعدوان ، وبغضاء وشنآن يطرحونه وراء ظهورهم ، لأنه لا يعود إلا بالضرر الكبير عليهم .
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع المرسلين .

[تم الكتاب]

المفردات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
دين الله واحد	٢١
إن هذه أمتكم أمة واحدة	٢٤
أساس دعوة كل رسول	٢٤
أصول الدين على السنة رسل الله أجمعين	٢٦
إن الدين عند الله الإسلام (إسلام الوجه)	٣٢
إسلام من في السموات والأرض	٣٤
ملة إبراهيم	٣٥
التفرق في الدين جاء من الجهل والتعصب	٣٦
الإسلام في كلام إبراهيم — وبنيه — الإسلام في عرفنا اليوم	٣٧
تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم	٣٨
دين الله في الكتب التي سبقت القرآن	٣٩
إبراهيم وإسحاق ويعقوب	٤٠
الوصايا العشر لموسى عليه السلام	٤١
من سفر التثنية	٤٢
من سفر أشعيا	٤٣

الموضوع	الصفحة
الديانة الحقيقية — من ترنيمة داود...	٤٤
من سفر أرميا	٤٥
رسالة عيسى عليه السلام...	٤٥
الناموس الذى جاء عيسى ليكممه ..	٤٦
الناموس كما جاء فى إنجيل مرقس	٤٧
أبى وأبيكم وآلهى وآلهكم ..	٤٨
مكتوب للرب آلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد ..	٤٩
ماقاله السيد المسيح عند ما قدم للصلب ..	٤٩
الصالح واحد وهو الله وحده	٥٠
اقتداء النبي محمد بمن قبله ، أولئك الذين هدى الله ، فبهذا هم اقتدوه	٥١
كتب الرسل فيها هدى ونور	٥٣
فى التوراة والإنجيل هدى ونور	٥٣
الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة للمتقين	٥٤
جاء عيسى عليه السلام بالبينات والحكمة	٥٤
القرآن مصدق بالتوراة والإنجيل	٥٥
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ..	٥٦
الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب وما أرسل من رسل ...	٥٧
دعوة محمد لأهل الكتاب	٦٠
هذه الآية أساس الدين المتين	٦٢

- ١٣١ -

الموضوع	الصفحة
الله ربنا وربكم . لنا أعمالنا ولكم أعمالكم	٦٥
الله هو الذى يحكم بين الناس جميعاً	٦٦
مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن	٦٧
بر أهل الكتاب والاقساط إليهم	٦٨
دعوته العامة	٦٨
أبلغ مثل لبيان ضلال المشركين ، الله لا يغفر أن يشرك به	٧١
الدعوة بالحكمة والموعظة والجدال بالتى هى أحسن	٧١
الحرية التامة فى دعوته	٧٣
اليهود والنصارى أهل كتاب ، وليسوا بمشركين ولا كافرين	٧٤
تفسير آية : اليوم أحل لكم الطيبات	٧٦
تحقيق لشيخ الإسلام ابن تيمية فى معاملة أهل الكتاب	٧٩
أصل الدين الذى أنزل الله به الكتاب ليس فيه شرك	٨٠
آية المائة خاصة	٨٠
الله رب العالمين — ومن هم الذين أنعم الله عليهم	٨١
صراط الذين أنعم الله عليهم	٨٢
دين الله فى جميع الأمم واحد — يريد الله ليعين لكم ويهتدوا	٨٤
سنن الذين من قبلكم	٨٤
ليسوا سواء	٨٥
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه	٨٦

الصفحة	الموضوع
٨٧	ليس بأمانيسكم ولا آماني أهل الكتاب
٨٩	اتحاد أهل الأديان الثلاثة
٩٠	كلية الخاخام الأكبر
٩٢	جمعية التأليف والتقريب
٩٢	مقاله للقس إسحاق طيلر في الإسلام والمسلمين
٩٧	القرآن والكتب المنزلة للقس المذكور
١٠٢	تعليق على ما كتب هذا القس
١٠٣	جمعية التأليف والتقريب
١٠٤	الأديان الثلاثة متفقة في المبدأ والغاية
١٠٩	مغزى أقوال السيد المسيح
١١٠	خير مثال
١١٢	آيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله في العهد الجديد
١١٣	من سفر الخروج — من سفر تثنية الاشتراع — من سفر المزامير
١١٤	سفر أشعيا
١١٤	من موعظة السيد المسيح التي ألقاها على الجبل
١١٩	آيات من القرآن الكريم
١٢٠	الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل
	محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل — ما عليه إلا البلاغ ،
١٢٠	وما هو على الناس بوكيل ولا حفيظ

— ١٣٣ —

صفحة

الموضوع

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن —	
لا إكراه في الدين	١٢١
ليس له من الأمر شيء — القرآن في الكتب السابقة	١٢٢
من آداب وصايا القرآن الكريم	١٢٢
دين المستقبل — للسيد جمال الدين الأفغاني	١٢٦

عنوان المؤلف :

الجيزة — ٩ شارع قرة بن شريك ت : ٨٩٥٤٥٦

مصادر الكتاب

- (١) العهد القديم بأسفاره — الذى نشرته جمعية التوراة البريطانية والأجنبية وطبع فى كرج سنة ١٩٢٩
- (٢) العهد الجديد بأسفاره — الذى نشرته جمعية التوراة البريطانية والأجنبية وطبع فى كرج سنة ١٩٢٩
- (٣) العهد الجديد بأسفاره — الذى نشرته الدار الكاثوليكية المصرية سنة ١٩٥١
- (٤) كتاب حفظت كلامك — مجموعة آيات كتابية منتخبة الطبعة الثالثة سنة ١٩٥١
- (٥) القرآن الكريم وتفسيره للزحشرى وابن كثير والأستاذ الإمام محمد عبده
- (٦) رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده
- (٧) تفسير سورة الفاتحة للأستاذ الإمام محمد عبده
- (٨) كتاب البخارى وشرحه لأبن حجر العسقلانى (٩) كتاب مسلم
- (١٠) كتاب الأربعين النووية (١١) فتاوى ابن تيمية
- (١٢) بدائع الفوائد لأبن القيم (١٣) أظهار الحق لرحمة الله الهندي
- (١٤) خاطرات جمال الدين الأفغانى
- (١٥) قصص الأنبياء للشيخ عيد الوهاب النجار الطبعة الثانية
- (١٦) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده الجزء الأول
- (١٧) صيحة جمال الدين الأفغانى للمؤلف
- (١٨) مجلة المنار
- (١٩) جريدة الأهرام
- (٢٠) جريدة سنت جيمس الإنجليزىة

تصويبات

ص	سطر	الغلط	الصواب
٢	٣	حديث بخارى	حديث متفق عليه
١٠	٦	نظم الماملات	من نظم المعاملات
١٢	٧	الأمن شاملا	والأمن شاملا
١٢	٨	كلنا كأسرة	لكنا كأسرة
١٦	١٨	الآية ٢٦٢	الآية ٦٢
١٩	١٨	لأخوتي	لأخواني
٢٧	١٦	ينالها	يتلها
٣٠	١٤	هبطوا	اهبطوا
٣٢	٣	آلهتهم	ألهتهم

وهناك هنات قليلة تعرف بداهة من السياق والمرجو تصحيح
الغلط قبل قراءة الكتاب .

طبعة دار التاليف
٨ شارع يعقوب بالمالية بمصر تليفون ٢١٨٢٥١

دار الكرنك

تقدم

مشروع المكتبات العشرين

- | | |
|----------------------|-----------------------------|
| ١ - المكتبة الثقافية | ١١ - مكتبة «الناشئين» |
| ٢ - المكتبة الدولية | ١٢ - المكتبة الدينية |
| ٣ - المكتبة الطبية | ١٣ - المكتبة العمالية |
| ٤ - المكتبة العلمية | ١٤ - المكتبة الصناعية |
| ٥ - المكتبة السياسية | ١٥ - المكتبة القانونية |
| ٦ - المكتبة المسرحية | ١٦ - مكتبة «خدام الإنسانية» |
| ٧ - المكتبة الفنية | ١٧ - مكتبة «أبطال التاريخ» |
| ٨ - مكتبة «أطفالنا» | ١٨ - دائرة المعارف العامة |
| ٩ - مكتبة الحضارات | ١٩ - دائرة المعارف العربية |
| ١٠ - المكتبة الأدبية | ٢٠ - دائرة المعارف العالمية |

الناشر

دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع

عمارة رمسيس - ميدان رمسيس (باب الحديد) القاهرة